قصر البديع السعدي بمدينة مراكش في ضوء المصادر والبقايا الأثرية

د. محمد السيد محمد أبو رحاب(*)

تفيد الروايات التاريخية أن ملوك وأمراء الدول المختلفة التي تعاقبت على عرش المغرب الأقصى، اهتموا بتشييد القصور في مختلف المدن المغربية، وبخاصة حاضرة البلاد أو العاصمة، التي يُلاحظ أن قصر الحكم أو "دار الإمارة" الموجود بها كان يشيد- في الغالب- إلى جوار المسجد الجامع(١)، اتباعًا للتقليد المعروف في كافة المدن الإسلامية، التي تمثلت أولى نماذجه في دار الرسول (ﷺ)، والتي كانت ملاصقة للمسجد(٢)، كما اهتموا أيضًا – شأنهم شأن غيرهم من ملوك الدول الأخرى – بتشييد قصور أخرى يلتمسون فيها الراحة والهدوء، ويتمكنون من الاستغراق في حياة اللهو والترف بعيدًا عن مقر الحكم بالعاصمة(٣).

وقد كانت القصور الكبرى بالمغرب- كما هو الحال بالأندلس أيضًا- أشبه ما تكون بالمدن الصغرى المستقلة، لتعدد مرافقها وعظم بساتينها، فكانت تتألف من قصور الملك أو الخليفة وأفراد حاشيته وخاصته، بالإضافة إلى قاعات للاجتماع، ومساجد وحمامات وأسواق وغير ذلك(٤).

غير أن ما يؤسف له أن المعروف عن عمارة القصور بالمغرب الأقصى غالبًا لا يتعدى الروايات التاريخية، فعلى عكس العمائر الدينية التي كانت تتمتع بحرمة تمنع من الاعتداء عليها، نجد أن القصور وغيرها من العمائر المدنية كانت هدفًا لأعمال التخريب من جانب العامة، والإهمال والهدم من جانب السلطات المستجدة(٥)، فالقصر يمثل شرعية الدولة ورمزها ومقر سلطتها، وتدميره وتخريبه يمثل دليلاً على انتقاص السيادة وزوال السلطة وشرعية الحكم وانتهائه.

فقصور الأدارسة ومن أشهرها "دار القيطون" بفاس لم يبقَ لها أثر(٦)، ولم يعد قائمًا من قصور المرابطين سوى بقايا قليلة من القصر الذي شرع علي بن يوسف في تشييده سنة (٥٢٦هـ/ ٣١- ١١٣٢م) (٧)، بعد أن كشفت عنها التنقيبات التي أجريت بجوار جامع الكتبية الموحدي بمراكش(٨)، بينما اختفت تمامًا قصور الموحدين بالمغرب الأقصى(٩)، رغم كثرة ما شيد منها

(*) مدرس العمارة والآثار الإسلامية- كلية الآداب- جامعة أسيوط.

بمراكش[١٠]، والرباط[١١]، وسلا[١٢]، وغيرها، كما لم يتبق من القصور العديدة التي شيدها المرينيون[١٣] سوى أجزاء قليلة لقصر يوجد بالربوة التي تشرف على فاس القديمة من جهة الشمال[١٤]، والتي رجح بعض الباحثين أنها بقايا قصر رأس الماء الذي شيده السلطان المريني أبو سعيد الأول عند هذا الموضع المعروف برأس الماء، ليكون مشرفًا على منابع وادي الجواهر[١٥].

أما بالنسبة للقصور التي شيدت في عصر الدولة السعدية، فتشير الروايات التاريخية إلى تشييد عدد كبير منها على يد ملوكها بمختلف المدن المغربية، فبعد أن بويع محمد القائم بالملك، قام بإنشاء– وفقًا لما ذكره مارمول– قصر ضخم بمدينة تيدسي العاصمة الأولى للسعديين، أحاطه بعدة بساتين وخزانات للماء[١٦]، كما قام محمد المهدي الشيخ بإنشاء قصر لسكناه بمدينة تارودانت في إطار تجديده الشامل لهذه المدينة بعد أن اتخذها مقرًا له كنائب عن أبيه، ثم أخيه أحمد الأعرج[١٧]، ولكن لا يوجد أثر لهذه القصور حاليًا.

وعندما استولى أحمد الأعرج على مدينة مراكش سنة (٩٣٠هـ/ ١٥٢١م)، كانت القصور التي شيدها الموحدون– والتي لا شك أحدث بها تغييرات بعدهم– لا تزال قائمة، إذ كان الأمير النهتاتي ناصر بوشنتوف يسكن بالقصر الملكي الموحدي، كما أن حجابه وبعض حاشيته كانوا يسكنون بقصر حرس الرماة، أما سائر القصور وإن كانت قد أفلتت من التدمير، فإنها تعرضت للإهمال؛ إذ أصبحت– كما شاهدها ليون الإفريقي– أوكارًا للحمام والبوم والغربان[١٨]، ويبدو أن أحمد الأعرج قد اتخذ من هذه القصور مقرًا له، إذ لم تشر المصادر التاريخية المعاصرة إلى تشييده لقصور جديدة بمراكش، أما محمد المهدي الشيخ الذي انتقل نهائيًا من تارودانت إلى مراكش سنة (٩٥٢هـ/ ١٥٤٤م)، فتفيد رواية الفشتالي إلى أنه شيد قصرًا بمراكش كان على درجة كبيرة من الجمال، جعلت أحمد المنصور بن المهدي يفضل الإقامة به دون غيره من قصور مراكش قبل اكتمال بناء قصره المعروف بالبديع[١٩] موضوع البحث.

أما السلطان عبد الله الغالب بالله، فقد أفادت رواية مارمول– شاهد العيان– أنه استخدم هو وابنه الأكبر ورجال حاشيته القصور الموحدية،

وأحاط جميع هذه القصور بسور واحد[٢٠]، ويؤكد هذه الرواية ما ذكره دييگو دي توريس- المعاصر أيضًا للغالب- من أن هذا السلطان: "شيد دورًا جميلة بمراكش، ووسع القصر الملكي"[٢١]، وهو يقصد بلا شك القصر الموحدي القديم.

كما تفيد رواية المؤرخ المجهول أن عبد الله الغالب أيضًا أمر ابنه محمد المتوكل بإنشاء قصر في مدينة فاس الجديد، فشيد المتوكل: "قصر بوفير وقبة النصر"[٢٢]، وإن كان بعض الباحثين قرر بأن هذا القصر مريني، ويقتصر دور السعديين على تجديده، ويرجح هذا الافتراض أن اسم "أبي فير" الذي يبدو أنه تصحيف عامي عن "أبي فهر" قد أطلق على عدة منشآت معاصرة للعصر المريني، كالبستان الملكي الذي شيد بتونس في عهد عبد الله الحفصي عام (٦٧٥هـ/ ١٢٧٧م)، وأطلق أيضًا على بستان بتلمسان شيده السلطان أبو تاشفين الأول العبد الوادي المتوفى (٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م)[٢٣]. غير أن كل هذه القصور السعدية السابق الإشارة إليها اختفت تمامًا ولم يبقَ لها أثر حاليًا[٢٤].

وبعد أن تولى أحمد المنصور الذهبي- الذي يعد أشهر السلاطين السعديين وأحد عظماء حكام المغرب- عقب الانتصار المدوي على البرتغال في معركة وادي المخازن الشهيرة سنة (٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م) أقام - وفقًا لما ذكره وزيره ومؤرخه الفشتالي- بالقصر الذي شيده والده محمد الشيخ بمراكش كما سبقت الإشارة، غير أنه لم يكتفِ بالقصور الموروثة عن الموحدين، أو التي شيدها أسلافه، بل أراد السير على منوال كبار الخلفاء والملوك والاستئثار بقصور جديدة يخلد بها ذكره على مر العصور، وتليق بالمكانة التي وصلت إليها دولة الإشراف السعديين عقب هذا الانتصار، كذلك ليكون لآثار أهل البيت الفضل على آثار الدول السابقة عليهم، كما ذكر الفشتالي على لسان أحمد المنصور[٢٥]، فشيد قصر البديع الذي يعد واحدًا من أعظم التحف المعمارية والفنية التي احتفظت كتب التاريخ والرحلات بوصفها[٢٦].

وقد سمي هذا القصر بالبديع؛ "لاحتوائه على كل نوع من أنواع البدائع وغرائب العجائب"[٢٧]، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الاسم "البديع" أطلق على عديد من المنشآت ببلاد المغرب والأندلس، سابقة على العصر السعدي، فقد

أطلق على أحد قصور بني أمية بقرطبة[٢٨]، كما أطلق على أحد بساتين بني حماد بمدينة باجة بالمغرب الأوسط[٢٩].

وقد اتبع أحمد المنصور في بناء قصره ما كان معروفًا في اختيار الوقت الذي ينصح به أهل الرصد والعلماء بوضع حجر الأساس[٣٠]، ليتوفر لأعمال البناء أفضل الظروف، ولم يكن المشروع الضخم الذي أقبل المنصور على إنجازه قاصرًا على قصر البديع الذي ما زالت أطلاله باقية حتى الآن بقصبة مدينة مراكش (خريطة ١)، وإنما كان أشبه بمدينة ملكية تتألف– وفقًا لما ذكره أحمد المنصور نفسه ونقله عنه مؤرخو عصره– من ثلاثة منشآت رئيسة، هي: قصر البديع، وبستان المشتهى الملاصق للقصر من الجهة الشرقية، وبستان المسرة[٣١]، الذي شيد إلى جواره مساكن لمماليك وحاشية أحمد المنصور، وقد وصفها الفشتالي بأنها: "مدينة أنيقة"[٣٢]، ونعتها المقري بأنها: "مدينة عظيمة"[٣٣]؛ مما يشير إلى كثافة هذه الوحدات السكنية وجمال عمارتها، ولكن يبقى قصر البديع – موضوع البحث– أهم هذه المنشآت وأشهرها.

ولسرعة إنجاز أحمد المنصور لقصره، حشد له المعماريين والصناع والعمال المتخصصين من مختلف جهات المغرب، بل إنه لم يكتفِ بالخبرة المحلية في هذا الصدد، وإنما استعان أيضًا بالمهرة من المعماريين والصناع الأوربيين[٣٤]، سواء القادمون من أوربا أو المتواجدون بالمغرب من أسرى معركة وادي المخازن، ولئن كنا لا نعرف عدد الذين شاركوا في إنجاز هذا المشروع، فإن السوق الذي كان يعقد يوميًا بالقرب من قصر البديع لتوفير متطلبات هؤلاء المعماريين والصناع من الطعام والشراب، كان يسمع له: "دوي كدوي الأسواق الهائلة"[٣٥]، يشير إلى كثرة عدد المشاركين في بناء هذا القصر، وكان المنصور يؤدي لهم أجورًا حسنة، ويهتم بمئونة أولادهم ليتفرغوا تمامًا لأعمالهم[٣٦].

وحرصًا من أحمد المنصور على توفير أجود مواد البناء لقصره، لم يكتفِ بمواد البناء المحلية، بل جلب بعضها من بلدان أخرى غير المغرب، كتنبكتو بالسودان الغربي، وبعض دول أوربا كإيطاليا التي جلب منها الرخام، وكان: "يشتريه منهم بالسكر وزنًا بوزن"[٣٧].

وعلى الرغم من ذلك، فقد استغرق بناء قصر البديع فترة طويلة من الزمن، اتفق الباحثون على أنها بلغت – اعتمادًا على ما ذكره الفشتالي- ست عشرة سنة بدأت من سنة (٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م)، وامتدت حتى سنة (١٠٠٢هـ/ ١٥٩٤م) [٣٨]، حيث ذكر الفشتالي أن: "الشروع في تأسيسه في شوال خامس الأشهر من خلافته السعيدة من عام ستة وثمانين وتسعمائة، واتصل العمل إلى هذا العهد وهو عام اثنين وعشر مائة لم يتخللها فترة"[٣٩].

وإن كان ثمة ملاحظة على هذه الرواية التاريخية، فهي أن عبارة "اتصل العمل" لا تفيد أن أعمال البناء بالقصر قد انتهت عام (١٠٠٢هـ/ ١٥٩٤م) كما ذهب أصحاب الرأي السابق، وإنما تفيد استمرار العمل إلى هذا التاريخ وما بعده أيضًا، يؤكد ذلك رسالة صادرة عن أحمد المنصور أثناء إقامته بفاس إلى ابنه أبي فارس بمراكش أواخر عام (١٠١١هـ/ ١٦٠٢م)، يوصيه باستكمال البناء في بعض ملحقات القصر، حيث ذكر: "وقصر الخيل- يقصد الإسطبل- مع الحمام حرض المعلمين على المبادرة باشتغالهما، وحاول أن يسقفوا ذلك البلاط الذي يوازي سور القصبة من قصر الخيل والقبة التي فيه، لنجدوه كاملاً إن شاء الله عند قدومنا عليكم، وحتى سواري الرخام ركبوهم في تلك الجهة إذا سقفتم، ولا تزالوا تعرفونا بما تزايد من الأشغال في الموضعين المذكورين"[٤٠].

وتكشف هذه الرسالة- فضلاً عن دقة المنصور في متابعة أعمال البناء بقصره- عن استمرار البناء بقصر البديع وملحقاته حتى عام (١٠١١هـ/ ١٦٠٢م)، وعلى الرغم من ذلك يتضح من خلال تصميم ضمن مخطوط برتغالي عبارة عن منظور لمباني قصبة مراكش نفذه مهندس برتغالي عام (٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م) [٤١] (لوحة ١) أن أعمال البناء بقصر البديع قد تقدمت إلى درجة كبيرة حتى هذا التاريخ، وأن ما أجري من أعمال بعد ذلك كان مجرد أعمال تكميلية، حيث ظهر القصر وقد شيدت جدرانه الخارجية، وانتصبت أربعة أبراج مربعة واحد في كل ركن من أركانه، وكذلك اكتمل بناء وحداته الداخلية من قباب وحجرات وصهاريج ونافورات وحدائق، وكسيت أرضيات الممرات التي تفصل بينها بالزليج في تشكيلات هندسية، كما ظهر أيضًا بستان المشتهى الملاصق للجدار الشرقي للقصر، وقد غرس

بأشجار عالية (لوحة ٢)، وهذا الشكل المعماري يتطابق إلى درجة كبيرة مع الوصف المعماري الدقيق الذي سجله الفشتالي لقصر البديع عام (١٠٠٢هـ/ ١٥٩٤م) [٤٢].

وهذا لا يتعارض مع استمرار البناء بملحقات القصر إلى عام (١٠١١هـ/ ١٦٠٢م) كما وضح من الرسالة الصادرة من أحمد المنصور السابق الإشارة إليها، فقد كان هذا السلطان حريصًا – ولا شك– على سرعة الانتهاء من بناء الأجزاء الرئيسة بقصره للانتقال إليه من مقره المؤقت بقصر والده محمد المهدي وفقًا لما ذكره الفشتالي كما سبقت الإشارة، لذلك يرجح أن انتقال المنصور إلى البديع كان قبل عام (٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م) أو خلاله، وليس كما ذكر أحد الباحثين من أن المنصور لم يقم بقصره هذا إلا نحو خمس سنوات، أي في الفترة ما بين عام (١٠٠٧هـ/ ١٥٩٩م)، وتاريخ وفاته سنة (١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م)، دون أن يوضح مستنده في ذلك[٤٣].

سيما وأن الإفراني قد ذكر في سياق حديثه عن الفقيه السوداني أحمد بابا التنبكتي (٩٦٣– ١٠٣٦هـ/ ١٥٥٥– ١٦٢٦م) أن قائد جيش المنصور الذهبي محمود بن زرقون أسر هذا الفقيه– بتهمة التحريض على التمرد وعدم الرضوخ للحكم السعدي بالسودان الغربي– وحمل هو وأسرته إلى مراكش عام (١٠٠٢هـ/ ١٥٩٣م)، وعندما: "دخل – أحمد بابا– على السلطان أبي العباس أحمد المنصور داره المسماه بالبديع، وجده قد اتخذ حجابًا بينه وبين الناس، وهو من وراء الستارة يتكلم، فقال له الشيخ ..." [٤٤]. وهذا يشير إلى انتقال المنصور إلى قصر البديع قبل عام (١٠٠٢هـ/ ١٥٩٣م)، وعلى أية حال، فإن طول الفترة الزمنية التي تم فيها بناء قصر البديع، وكذلك كثرة ما أنفق في بنائه يكشف عن ضخامة هذا البناء وفخامته، وهو ما تؤكده الروايات التاريخية المعاصرة المغربية والأوربية على السواء.

ويقع قصر البديع بالجانب الشمالي الشرقي لقصبة مراكش (خريطة ١)، التي تقع بدورها جنوبي هذه المدينة، وفي حين ذكر بعض الباحثين أن الموضع الذي شيد عليه هذا القصر كانت تشغله الحدائق والبساتين منذ عهد الموحدين[٤٥]، ذكر بعضهم الآخر أن قصر البديع بني في مكان القصر الموحدي وعلى أنقاضه[٤٦]، بينما لم يزد الفشتالي في حديثه عن موقع

البديع على قوله أن المنصور: "ارتاد له الجانب الشرقي من قصوره الكريمة لاتساع مساحته"[٤٧]، مما يشير إلى أن البديع شيد إلى جوار القصور القديمة السابقة على عصر المنصور السعدي، ولم يشيد على أنقاض أي منها، خلافًا لما ذكر في الرأي الأخير، حيث يبدو أن هذه القصور القديمة استمرت في أداء وظيفتها، سيما وأن الفشتالي أشار إلى سكنى بعض أبناء المنصور وبخاصة أبو فارس بجوار قصر والده[٤٨].

وبملاصقة الواجهة الشرقية لقصر البديع يوجد ثاني منشآت مشروع أحمد المنصور، وهو بستان المشتهى (شكل ١)، وقد ظهر في التصميم البرتغالي لقصبة مراكش المنفذ عام (٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م)- السابق الإشارة إليه- وقد ارتفعت أشجاره مما يشير إلى الانتهاء من عمل هذا الجزء من القصر الملكي منذ فترة طويلة سابقة على عام (٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م) (لوحة ٢)، وهو حاليًا أرض فضاء باستثناء بعض أشجار متناثرة، وقد سد الباب الذي كان يصل بينه وبين قصر البديع بعد أن أصبح تابعًا للقصر الملكي العلوي الواقع جنوب البديع.

أما بستان المسرة ثالث منشآت المنصور، فهو لا يجاور قصر البديع مباشرة كبستان المشتهى، وإنما يقع وفقًا لما ذكره الفشتالي جنوب قصبة مراكش بين سور هذه القصبة وجنان الصالحة[٤٩]، وفي حين ذكر بعض الباحثين أن بستان المسرة كان يقع حيث أكْدال الحالية جنوبي قصبة مراكش[٥٠]، ذكر بعضهم الآخر أنه لا يعرف الآن مكان هذا البستان، ولا امتداده الأصلي على وجه الدقة[٥١].

وعلى الرغم من ذلك يتضح من خلال التصميم البرتغالي لقصبة مراكش (٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م)، أن القطاع الجنوبي الشرقي لهذه القصبة تشغله الحدائق والبساتين، فلعلها كانت بستان المسرة سيما وأن هذا هو نفس الموضع الذي حدده الفشتالي كما سبقت الإشارة، وقد ذكر الإفراني نقلاً عن ابن عذارى صاحب البيان المغرب، أن أول من أنشأ المسرة التي بظاهر جنان الصالحة هو الخليفة عبد المؤمن الموحدي، وهو بستان عظيم طوله ثلاثة أميال وعرضه قريب من ذلك، ورجح الإفراني أن يكون المنصور السعدي قد جدد معالم هذا البستان بعد اندراسه[٥٢]، والواقع أن هذه الرواية لم ترد في

البيان المطبوع، وإنما أوردها المؤرخ المجهول صاحب الحلل الموشية، دون أن ينعت هذا البستان باسم المسرة أو غيره من الأسماء(٥٣).

هكذا يتضح ضخامة مشروع أحمد المنصور الذي ضم إلى جانب قصره البديع بستاني المشتهى والمسرة، بالإضافة إلى ما شيد إلى جوار هذا البستان الأخير من منشآت، ولعل هذا يفسر طول المدة الزمنية التي استغرقها إنجاز هذا المشروع، الذي يمكن اعتباره مدينة ملكية، كما سبقت الإشارة.

وقد اشترك عدد كبير من المهندسين أو "عرفاء البناء" وفقًا لاصطلاح المغاربة والأندلسيين في بناء قصر البديع وملحقاته، بالإضافة إلى أحمد المنصور الذي أسهم بنفسه في عمل تصميم بعض الوحدات المعمارية بهذا القصر، فقد ذكر الفشتالي أن المنصور: "أحضر عرفاء المباني فاقترحها لهم وأخذ أيده الله برشدهم بحاسة الوصف إلى أشكالها التي تصورها، فلم يكونوا ليهتدوا حتى تولى لهم رسمها ببنانه الكريم في قرطاس"(٥٤)، وإذا كان هذا النص يفيد دراية المنصور بالهندسة المعمارية إلى درجة مكنته من تبادل الآراء مع كبار المعماريين حول تصاميم المنشآت وطرق العمل والتنفيذ، فإنه يشير أيضًا إلى أن مخططات المنشآت المعمارية المختلفة في العصر السعدي كانت تخضع – كما هو الحال قبل هذا العصر بالمغرب– لتصميم هندسي يرسم سلفًا، مدروس من قبل مجموعة مختارة من المعماريين الأكْفاء(٥٥).

وقد كانت فرحة المنصور بالغة باكتمال بناء قصر البديع وزخرفته، فأقام مهرجانًا عظيمًا– على حد قول الإفراني– دعا إليه مختلف طبقات رعيته، وأكرم ضيافتهم وأجزل لهم العطاء(٥٦)، وفي هذا القصر استقبل المنصور عددًا كبيرًا من الوفود والسفارات الأجنبية، التي انبهرت بجمال وروعة هذا القصر ورددت صداه في مختلف دول أوربا وآسيا(٥٧)، كما أحيا به حفلات دينية كبرى كليالي رمضان وحفلات المولد النبوي الشريف ويوم عاشوراء والعيدين(٥٨)، واحتفل فيه بانتصاراته السياسية والعسكرية، وبخاصة انتصاره على مملكة سنغاي ومد نفوذه على بلاد السودان الغربي(٥٩).

لكن – ومن أسف– لم يكتب لهذا القصر أن يعمر طويلاً؛ إذ ظل قائمًا منذ إنشائه إلى أن خربه السلطان إسماعيل العلوي سنة (١١١٩هـ/ ١٧١٠م)، وذلك لأسباب وصفها الإفراني بأنه يطول شرحها دون أن يذكر منها شيئًا: "فهدمت معالمه، وبدلت محاسنه، وفرق جموع حسنه، وعاد حصيدًا كأن لم يغنَ بالأمس، حتى صار مرعى للمواشي، ومقيلاً للكلاب، ووكرًا للبوم، ... ومن العجيب أنه لم تبقَ بلد بالمغرب إلا ودخلها شيء من أنقاض البديع"(٦٠).

هكذا سكت الإفراني– وهو شاهد عيان معاصر للمولى إسماعيل العلوي– عن أسباب هدم إسماعيل العلوي لقصر البديع السعدي، كذلك فعل غيره من مؤرخي الدولة العلوية، كالزياني والضعيف الرباطي والناصري وغيرهم، ليضيع علينا رصد ومعرفة هذه الأسباب التي أدت إلى هدم هذا الأثر المهم، الذي تخطت شهرته حدود المغرب إلى غيره من بلدان أوربية وإفريقية آنذاك.

والسؤال الذي يطرح نفسه، هل قام المولى إسماعيل بهذا العمل بدافع الغيرة؟ أم هدمه ليستغل أنقاضه في بناء قصوره بعاصمته الجديدة مكناس؟ وفي معرض الرد على هذا التساؤل، تبرز حقيقتان مهمتان، أولاهما أن المولى إسماعيل العلوي يعد واحدًا من أشهر حكام المغرب شغفًا بالبناء والتعمير، حتى إن أعمال البناء والترميم استغرقت – وفقًا لروايات المؤرخين– كل حياة هذا السلطان، وأن: "مبانيه بقلعة مكناسة وقصوره ومساجده ومدارسه وبساتينه شيء يفوق المعهود، بحيث تعجز عنه الدول القديمة والحادثة من الفرس واليونان والروم والعرب والترك ...، وما بديع المنصور بقصر من قصوره، ولا بستان المسرة بأحد بساتينه"(٦١).

فهل من كانت له كل هذه المنشآت يزعجه أن تشتمل إحدى مدن مملكته على قصر مهما كانت درجة روعته وعظمته، ولو كانت الغيرة هي دافع الهدم، لكان هدمه بعد أن تولى الحكم مباشرة عام (١٠٨٢هـ/ ١٦٧٢م) أو بعد هذا التاريخ بقليل، ولم ينتظر حتى عام (١١١٩هـ/ ١٧١٠م)، بل إن الثابت تاريخيًا أن المولى إسماعيل استقبل في قصر البديع عديدًا من الوفود والبعثات الدبلوماسية(٦٢).

أما الحقيقة الثانية، فهي أن إسماعيل العلوي شرع في بناء قصوره بمكناس منذ أن اتخذها عاصمة لدولته عوضًا عن فاس عام (١٠٨٣هـ/ ١٦٧٣م) [٦٣]، أي أنه شيد قصوره بمكناس قبل هدمه لقصر البديع سنة (١١١٩هـ/ ١٧١٠م) بأكثر من ربع قرن، مع الأخذ في الاعتبار أن قصر البديع تعرض بعد وفاة أحمد المنصور الذهبي عام (١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م) ونزاع أبنائه على الملك، لعديد من أعمال التخريب الناتجة عن الصدام المستمر للاستيلاء على العاصمة مراكش وعلى قصر البديع مركز الحكم فيها[٦٤]، وقد كانت أكثر هذه الأحداث خطرًا على البديع تلك التي حدثت في عهد زيدان بن المنصور عندما ثار عليه ابن أبي محلى فيما بين (١٠١٩ – ١٠٢٢هـ/ ١٦١٠– ١٦١٣م)، واستولى على مراكش التي فر منها زيدان إلى سوس، وإن كانت الروايات التاريخية المغربية أشارت إلى دخول هذا الثائر قصر البديع دون ذكر تفاصيل[٦٥]، فإن المؤرخ السوداني عبد الرحمن السعدي (ت: ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٦م) ذكر أن ابن أبي محلى دخل هو ورجاله: "في دار السلطان – يقصد البديع– وأكلوا جميع ما فيها ... ورفعوا جميع ما في الديار من الأموال والأمتعة والأثاث ونشروها في الآفاق والأقطار، وجاء كثير منها في مدينة تنبكت لرسم التجارة، فتبايعها الناس بينهم، وتملكوها ودخل منها متاع في دار أولاد سيد محمود لينظروها من زينتها وحسن تراكيبها"[٦٦].

وتشير هذه الرواية المهمة– التي لم يلتفت إليها أيٌ من الدراسات السابقة التي تعرضت لقصر البديع– إلى أن قصر البديع فقد قبل نهاية العصر السعدي كثيرًا من جماله وعظمته بضياع ونهب تحفه وأثاثه، وقد زاد من سوء حالة القصر وتدهوره تلك الأزمات الاقتصادية والمجاعات والأوبئة التي تعرضت لها المدن المغربية ومنها مراكش خلال النصف الثاني من القرن (١٠هـ/ ١٦م)، والنصف الأول من القرن (١١هـ/ ١٧م) [٦٧].

ويبدو أن هذه الحالة السيئة التي وصل إليها قصر البديع كانت هي السبب الرئيس لهدم المولى إسماعيل لهذا القصر، والتي زاد من حدتها أيضًا الاشتباكات المسلحة العنيفة التي نشبت بين الثوار والمولى إسماعيل، والتي دارت حول هذا القصر وداخله، لكونه رمزًا للسلطة ومركزًا للقيادة، من سيطر عليه كانت له الكلمة، كثورة أحمد بن محرز عامي (١٠٨٢هـ/

١٦٧٢م) و(١٠٨٥هـ/ ١٦٧٤م) [٦٨]، وقد تحول القصر خلال هذا الصراع إلى ساحة قتال، وتحولت مصاريع أبوابه إلى مجنات وتروس، وحجراته وغرفه إلى ثكنات وأروقته إلى خنادق، وحدائقه إلى مقابر، وصهاريجه إلى مستنقعات للبعوض والناموس[٦٩].

وخير دليل على ما أصاب هذا القصر من تلف عقب هذه الحروب، حديث المولى إسماعيل إلى السفير البرتغالي الذي زار المغرب عام (١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م)، وقد طلب زيارة قصر البديع بمراكش- نظرًا لشهرته الكبيرة آنذاك- فأجابه المولى إسماعيل: "سنرضي مطالبك ولو أنك سوف لا تجد في هذا القصر ما كنت تسمع عنه، سترى كثيرًا من الدمار؛ لأن رصاص المعارك المحتدمة كان يلعلع في هذه الساحة، ولأجل ذلك ستشعر بالخيبة وأنت ترى التشتت والتمزق"[٧٠].

كذلك تعرضت مراكش وقصر البديع لمطامع جديدة عام (١١١٤هـ/ ١٧٠٣م) من محمد بن المولى إسماعيل الملقب بالعالم، حيث عاشت المدينة لمدة سنتين في هذه المحنة التي قضت على البقية الباقية من معالم مراكش، وبخاصة قصر البديع[٧١]، الذي صار أطلالاً متداعية وهيكلاً نخرًا، وتعرض لأعمال السلب والنهب، فضلاً عن ذلك فقد أصبح هذا القصر وبساتينه منطقة موبوءة تصيب كل من يقترب منها أو يسكن بجوارها بالحمى، حتى أسماها المولى إسماعيل بـ "دار أم ملدم"، أي الحمى، لذلك قرر هذا السلطان هدم قصر البديع عام (١١١٩هـ/ ١٧٠٧م)، ولعل ذلك يفسر ما أجمله الإفراني عند تعليل هدم المولى إسماعيل لهذا القصر[٧٢].

وفي عهد السلطان عبد العزيز العلوي (١٣١١- ١٣٢٧هـ/ ١٨٩٤- ١٩٠٩م) حول قسم من بقايا هذا القصر إلى سجن للثوار من قبيلة الرحامنة، وأعيد بناء جناح آخر ليتخذ منه مخزنًا للقصر الملكي العلوي المجاور له[٧٣]، وما تزال بقايا قصر البديع قائمة حتى الآن والتي يمكن من خلالها بالإضافة إلى الوصف المعماري الذي تضمنته المصادر التاريخية لهذا القصر، وما ذكره عنه أو رسمه بعض الرحالة والأسرى الأجانب الذين شاهدوه قبل تعرضه للهدم، إلى جانب الحفائر التي أجرتها مفتشية المباني التاريخية بمراكش على هذا القصر فيما بين ١٩٥٠- ١٩٥٥م، التعرف

على تخطيطه وشكله المعماري، ومواد الإنشاء المستخدمة في بنائه، وكذلك زخارفه والنقوش الكتابية التي كان يتضمنها(٧٤).

ويأتي كتاب "مناهل الصفا" للفشتالي على رأس المصادر التاريخية التي يعتمد عليها في معرفة أدق التفاصيل المعمارية لقصر البديع، ويعتبر ما كتبه الفشتالي عن هذا القصر وثيقة تاريخية مهمة بصفته وزيرًا ومؤرخًا لأحمد المنصور، شهد بنفسه مراحل بناء هذا القصر، بل إن معظم الأشعار الكثيرة التي نقشت على جدرانه من نظمه(٧٥)، ووصفه وهو ما زال محتفظًا برونقه وعظمته، ولم يتعرض بعد للسطو والإهمال والتخريب، كل ذلك إلى جانب كون الفشتالي أديبًا وشاعرًا جعله يقدم بوصفه الرائع الدقيق تخطيطًا دقيقًا، لا يقل عن– بل يتفوق على– التصميمات واللوحات التي رسمها المهندسون والفنانون الأوربيون الذين وفدوا على مراكش أو كانوا مقيمين فيها بحكم ظروفهم(٧٦).

وباستثناء المقري المعاصر للفشتالي، والذي سجل بعض مشاهداته عن قصر البديع، نجد أن المؤرخين اللاحقين على العصر السعدي؛ كالإفراني والناصري، نقلاً حرفيًا بعض ما ذكره الفشتالي عن قصر البديع، وقد كان الاعتماد عليهما فيما يتعلق بهذا القصر، قبل نشر "مناهل" الفشتالي لأول مرة عام ١٩٦٤م، إذ كان قبل هذا التاريخ في حكم المفقود.

أما المصادر الأجنبية فتتمثل في التصميم البرتغالي لقصبة مراكش المنفذ على يد أحد المهندسين البرتغاليين عام (٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م) أثناء بناء قصر البديع، وقد سبقت الإشارة إليه (لوحة ١)، ثم تخطيط أعده المهندس المستشرق كوليوس (Coluis) أحد أعضاء البعثة الهولندية برئاسة ألبير ريل (Albert Ruyl) الذي استقبله السلطان زيدان بن المنصور بقصر البديع عام (١٠٢٢هـ/ ١٦١٣م)، وقد وصل هذا المخطط مع تعليق عليه بالعربية إلى الإنجليزي كوربيير، ومن خلاله وصل إلى الإنجليزي جون وندوس (John Windus)، وهذا الأخير ضمنه كتابه "رحلة إلى مكناس"، الذي يتحدث عن السفارة الإنجليزية برئاسة شارل سيتوارت (Charles Stewart) إلى بلاط المولى إسماعيل العلوي بمكناس عام (١١٣٤هـ/ ١٧٢١م)، وقد أشار وندوس خطأ إلى أن هذا التخطيط يخص القصر الملكي بفاس، لذلك وصفه بأنه يشوبه نقص(٧٧) (شكل ٢).

ويضاف إلى ما سبق المعلومات والتفاصيل المعمارية التي دونها بعض الأجانب من الذين شاهدوا أو سمعوا عن قصر البديع، أمثال الرسام أدريان ماثام (Adriaen Matham) الذي كان ضمن بعثة هولندية استقبلها السلطان محمد الشيخ بن زيدان السعدي بقصر البديع عام (١٠٥٠هـ/ ١٦٤١م) [٧٨] (لوحة ٣)، وتوماس بوجوندر الذي كان بمراكش عام (١٠٧٦هـ/ ١٦٦٥م)، وقدم وصفًا موجزًا لقصر البديع من خلال ما سمعه لكونه لم يتمكن من دخول هذا القصر[٧٩]، وأخيرًا الأب ماتياس (Le Père Matias) الذي وصف قصر البديع وصفًا دقيقًا؛ إذ كان خادمًا بهذا القصر يتعهد حدائقه وأحواض المياه التي بداخله[٨٠].

وقد اتفقت الروايات الأوربية مع الروايات المغربية على أن قصر البديع كان بمستوى معماري رائع، فقد وصفه الفشتالي بأنه القصر: "العظيم الخطر العديم الند والمثل"[٨١]، وذكر المقري أنه: "يضرب به المثل الآن في مشارق الأرض ومغاربها"[٨٢]، ونعته الإفراني بأنه: "من أحسن المباني وأعظم المصانع"[٨٣]، وعلى الجانب الآخر وصفه ماثام بأنه أعجوبة العجائب[٨٤]، وشكك ماتياس في مقدرة الرجال على اختراع شيء أكثر ملوكية وأكثر فخامة من البديع[٨٥]، كما تكشف مقارنة وصف الفشتالي والإفراني بروايات ورسومات هؤلاء الأجانب تطابقًا تامًا من حيث التخطيط والشكل المعماري لقصر البديع، وكلاهما يتفق مع المخطط الذي أعدته مفتشية المباني التاريخية بمراكش لهذا القصر بعد الحفائر التي أجرتها به فيما بين عامي ١٩٥٠- ١٩٥٥م، ومن هناء جاء **الوصف المعماري لقصر البديع في ضوء هذه الشواهد التاريخية والحفائر الأثرية على النحو التالي:**

ذكر الإفراني أن قصر البديع يشغل مساحة مربعة بكل جهة من جهاته قبة[٨٦] رئيسة، وزعت على جانبيها وحدات معمارية أخرى من قباب وحجرات وغيرها[٨٧] (انظر: التصميم البرتغالي، لوحة ٢، ومخططي كوليوس ومفتشية مراكش الشكلان ١- ٢)، ويتوسط هذا القصر وفقًا لما ذكره الفشتالي وماتياس صحن فسيح يشتمل على خمس برك أو أحواض للمياه أكبرها يتوسط الصحن، أما الأربعة الأخرى فهي أصغر منه في المساحة، ويوجد حوض منها في كل ركن من الأركان الأربعة لهذا الصحن، وعلى جانبي الحوض الأوسط الكبير توجد أربع حدائق اثنتان منها في كل

جانب، غرس بعضها بأشجار الفاكهة كالنارنج والبرتقال، وبعضها الآخر خصص للزهور، وقد قسمت كل حديقة منها إلى مربعات يفصل بينها ممرات كسيت بالزليج المتعدد الألوان، كما يفصل بين أحواض المياه والحدائق السابق وصفها ممرات كسيت بالزليج المتعدد الألوان في تشكيلات هندسية[٨٨] (انظر: التصميم البرتغالي، لوحة ٢، ومخططي كوليوس ومفتشية مراكش، الشكلان ١– ٢).

وأضاف ماتياس أن مستوى أرضية الحدائق الأربع ينخفض عن مستوى أرضية أحواض المياه التي تنخفض بدورها عن أرضية صحن القصر، لذلك يهبط إلى كل حديقة منها بسلم مكون من أربع درجات كسيت بالزليج، ويوجد عند تقاطع الممرات التي تفصل بين أحواض المياه والحدائق فساقٍ من الرخام يخرج من كل منها أنبوب يفور منه الماء[٨٩] (انظر: مخططي كوليوس ومفتشية مراكش، الشكلان ١– ٢). ويتضح من خلال المخططين وجود ممر يتوسط حوض المياه الكبير، يمتد من الشمال إلى الجنوب، ويتوسط هذا الممر فسقية من الرخام مستديرة المسقط ترتكز على قاعدة مربعة (انظر: مخططي كوليوس ومفتشية مراكش، الشكلان ١– ٢).

وقد حصر الفشتالي الوحدات المعمارية المطلة على صحن قصر البديع بأنها تبلغ عشرين قبة– سبقت الإشارة إلى أن القبة في اصطلاح المغاربة تعني الحجرة الكبيرة أيًا كان نوع تغطيتها–: "متنوعة الأغراض متشعبة الأوضاع من محاريب وتماثيل ومقاصير وخزائن ومساجد للصلوات والتعبدات ومجالس للخلوات والجلوات"[٩٠]، هذا بالإضافة إلى القباب الأربع المتقابلة السابق ذكرها، القبة الشرقية منها تميزت بسقف الزجاج، لذلك سميت بـ"قبة الزجاجيات" أو "قبة الزجاج" وبـ" القبة الزجاجية"، فقد غطيت بسقف من "خشب الخلاف" أي الصفصاف، فتحت فيه كوات سدت بالزجاج، فإذا دخلت الشمس من: "خلال الكوى وفاضت أشعتها الملونة على الجدران فصبغتها، رأيت نعيمًا وملكًا كبيرًا[٩١]، ويعلو قمة هذه القبة عمود من الحديد ثبتت فيه كرات نحاسية: "تقص عددها عن عدد أكوار تيجان المآذن– يقصد الجامور أو العزري الذي يعلو قمة المآذن المغربية[٩٢]– وتطأطأت عن نهضتها تأدبًا مع بيوت الله"[٩٣]. ويكشف التصميم البرتغالي (لوحة ٢) دقة

وصف الفشتالي، إذ يبلغ عدد هذه الكرات أو التفافيح اثنتين فقط، في حين يبلغ عددها بالمآذن أربع أو أكثر.

وقد فرشت أرضية قبة الزجاج بالرخام، ويتوسطها فسقية من الرخام الأخضر، يخرج منها أنبوب يفور منه الماء، ويشتمل كل جدار من جدرانها الثلاثة الجنوبية والشمالية والغربية على فتحة باب تطل على برطال[٩٤]، أو رواق مكون من صفين من أعمدة رخامية ذات أبدان مرتفعة وغليظة، وتحمل سقفًا خشبيًا زخرف بالمقرنصات، وينتهي هذا السقف برفرف خشبي، أما الجدار الرابع لهذه القبة وهو الجدار الشرقي، فيتوسطه فتحة باب تفضي إلى بستان المشتهى الملاصق للجدار الشرقي لقصر البديع[٩٥] (انظر: التصميم البرتغالي، لوحة ٢، مخططي كوليوس ومفتشية مراكش، الشكلان ١- ٢).

أما القبة الغربية، فقد ذكر الفشتالي أنها تعرف بـ "القبة الخمسينية"[٩٦]، ووصفها بـ"القبة العظمى ... ذات الوفر العظيم الضخم"[٩٧]، ويكشف كل من مخططي كوليوس ومفتشية مراكش (الشكلان ١-٢) سبب نعت الفشتالي هذه القبة بكبر الحجم، حيث يتكون البرطال أو الرواق الذي يحيط بها من ثلاثة جوانب – كما هو الحال بالقبة الشرقية السابق وصفها- من بائكتين أو صفين من الأعمدة في جهة واحدة هي الشرقية، بينما يتكون من بائكة واحدة في كل من الجهتين الجنوبية والشمالية، مما أدى إلى زيادة المساحة الداخلية لهذه القبة، بينما يتكون الرواق المحيط بالقبة الشرقية من بائكتين في جهاته الثلاث (انظر: مخططي كوليوس ومفتشية مراكش، الشكلان ١- ٢).

ويتوسط كل من الجدار الشرقي والجنوبي والشمالي للقبة الخمسينية فتحة باب يغلق عليها مصاريع خشبية ضخمة تفتح على الرواق السابق وصفه، الذي يتقدمها، وقد كسيت أرضية هذا الرواق بالرخام، بينما كسيت أرضية القبة الخمسينية من الداخل بالزليج المتعدد الألوان، ويتوسطها فسقية مستديرة من الرخام على جانبيها من الجهتين الشرقية والغربية حوضان، بداخلهما فوارات وتماثيل مذهبة ومفضضة على هيئة أسود وطيور يخرج الماء من أفواهها[٩٨] (انظر: مخطط مفتشية مراكش، شكل ١).

ويبدو من وصف الفشتالي أن هذه القاعة المعروفة بـ "القبة الخمسينية" غطيت بسقف خشبي من النوع المعروف بالبرشلة[٩٩]، فقد ذكر أن هذا السقف بلغ: "أقصى مبالغ الجفوة والضخامة يولد الدهش، الناظر إليه كأنما يرمي بطرفه إلى قبة الفلك استدارةً ورحبًا وتجويفًا وسموًا مكفوًا على الجدران بغير عمد ... مظللاً بالبراشيل الضخمة"[١٠٠]، ويأخذ هذا السقف من الخارج شكلاً هرميًا غطي بحطات من القرميد، ويعلو قمته عمودان من الحديد ثبتت فيه كرتان من النحاس (انظر: التصميم البرتغالي، لوحة ٢)، وذكر الفشتالي أنه يتوج جدران هذه القبة رفرف خشبي يعلوه تمثالان لعقابين عظيمين[١٠١].

وقد نعت المقري القبة الخمسينية بـ "القبة الكبيرة"، وذكر أن جدرانها الأربعة كانت مغطاة بستائر مذهبة محكمة الصنعة تعرف عند أهل المغرب بـ "الحائطي"[١٠٢]، ونقشت عليها أبيات من الشعر تمدح أحمد المنصور وقصره، وقد ذكر الأشعار التي نقشت على كل جهة من الجهات الأربع لهذه القبة[١٠٣].

أما الوحدتان المعماريتان الشمالية والجنوبية، فقد أشار الفشتالي إلى أن الشمالية منها تعرف بـ "قبة النصر"، بينما تعرف الجنوبية بـ "قبة التيجان"، ووصف قبة النصر بأنها تشغل مساحة كبيرة، وتشتمل على محاريب وتماثيل وخزائن ومساجد ومخازن، وفتحت بجدرانها منافس "نوافذ" لإخراج دخان الشموع؛ حتى لا يؤثر على زخارف هذه الجدران[١٠٤]، ويشير هذا الوصف إلى أن هذه الوحدة المعمارية كانت تشتمل على عدة حجرات بداخلها، وهو ما أكده مخطط مفتشية المباني التاريخية بمراكش (شكل ١)، وقد فرشت أرضيتها بالزليج المتعدد الألوان في تشكيلات هندسية، ويغطيها سقف خشبي مطعم بالعاج والأبنوس، ويأخذ من الخارج هيئة جمالونية الشكل، غطي بالقرميد، ويتقدم هذه الوحدة المعمارية رواق يطل على صحن القصر ببائكة مكونة من ثمانية أعمدة رخامية ذات أبدان مرتفعة تحمل سبعة عقود على هيئة حدوة الفرس، ويتقدم هذا الرواق السابق وصفه فسقية مستديرة من الرخام يخرج منها أنبوب يفور منه الماء[١٠٥] (انظر: التصميم البرتغالي، لوحة ٢، ومخططي كوليوس ومفتشية مراكش، الشكلان ١– ٢).

ثم انتقل الفشتالي إلى وصف قبة التيجان التي بالضلع الجنوبي للقصر الواقعة في مقابل قبة النصر السابق وصفها، فذكر أنها ذات أبهاء فسيحة، وهي تضم – كقبة النصر– عدة حجرات تستخدم كمقاصير ومساجد وخزائن، وتتميز سماوات سقفها بزخارف المقرنصات الملونة باللونين الأزرق اللازوردي والذهبي؛ مما يشير إلى أنها كانت مغطاة بأسقف خشبية مسطحة تتألف من جوائز "براطيم" وسماوات "مربوعات"، ويأخذ هذا السقف من الخارج هيئة جمالونية غطيت بالقرميد(١٠٦)، وفي التعليق الذي كتبه كوليوس مع مخططه ذكر أن هذه القبة أو الوحدة المعمارية عبارة عن غرفة نوم داخل أخرى(١٠٧) (انظر: مخطط كوليوس ، شكل ٢)، كما ذكر ماثام أنها كانت مخصصة للحريم(١٠٨)، ويتقدم هذه الوحدة المعمارية رواق يشبه تمامًا الرواق الذي يتقدم قبة النصر، السابق وصفه(١٠٩) (انظر: التصميم البرتغالي، لوحة ٢، ومخططي كوليوس ومفتشية مراكش، الشكلان ١– ٢).

وواصل الفشتالي وصفه لقصر البديع، فذكر أنه يحيط بالصحن – بخلاف القباب السابق ذكرها– ديار عديدة كالدار الخضراء التي تقع بالركن الشمالي الشرقي للقصر، والدار البيضاء والدار الحمراء، وقد استخدم الفشتالي مصطلح "دار" بمعنى التكوين المعماري السكني، الذي يضم عديدًا من المرافق والعناصر المعمارية، حيث ذكر أن كل دار منها تشتمل على فوارات وبرك فضلاً عن الأسرة والفرش(١١٠)، ولعله يقصد بهذه الديار تلك الوحدات الموزعة على أركان القصر الأربعة؛ حيث يشتمل كل ركن على عدد من الحجرات يتقدمها رواق أمامه فسقية مستديرة من الرخام (انظر: مخططي كوليوس ومفتشية مراكش، الشكلان ١– ٢).

ثم انتقل الفشتالي إلى وصف المصرية(١١١) المشيدة أعلى الدار الخضراء بالركن الشمالي الشرقي للقصر– كما سبقت الإشارة– والتي رسم مخططها أحمد المنصور بنفسه وشرحه لعرفاء البناء، وهي متعددة الطوابق وزعت غرفها في صفين متقابلين يفصل بينهما في كل طابق صحن مكشوف ركبت عليه شبكة حديدية تسمح بدخول الضوء والهواء، ويوفر مع ذلك الخصوصية؛ بحيث لا يرى من بالطابق العلوي أولئك الذين بالطابق السفلي، ويتوج جدران كل طابق من طوابقها رفرف خشبي زين بزخارف متنوعة

من مقرنصات وزخارف هندسية دهنت بألوان متعددة يفصل بينها أعمدة رخامية دقيقة، وتنتهي جدران هذه المصرية بصف من شرافات مدرجة[١١٢] (انظر: التصميم البرتغالي، لوحة ٢)، وقد نقشت على جدران هذه المصرية عديد من الأشعار من بينها ثمانية أبيات لأحمد المقري نقشت بداخل المصرية بعد إنشائها عام (٩٩٥هـ/ ١٥٨٦م) [١١٣]، وقد ظهرت هذه المصرية في الرسم الذي نفذه ماثام (١٠٥٠هـ/ ١٦٤١م) أكثر ارتفاعًا من مئذنة جامع المنصور بقصبة مراكش التي يبلغ ارتفاعها نحو ٢٩م (انظر: لوحة ٣).

وبالجانب الشرقي لهذه المصرية أشار الفشتالي إلى وجود حمام تتوسطه بركة أو حوض يزود بالماء الساخن من خلال أنابيب نحاسية، ويتصل بهذا الحوض قواديس ترفع الماء وتوزعه إلى نقر أو أحواض رخامية بغرف هذه المصرية، وذلك عن طريق أنبوبين أحدهما مخصص للماء البارد والآخر للماء الساخن، ركب عليهما لوالب أو صنابير للتحكم في إخراج الماء البارد أو الساخن، أو لخلطهما معًا عند الحاجة[١١٤].

وقد أشار الفشتالي إلى وجود مصرية أيضًا بالركن الغربي للقصر، وذكر أنها قامت على أعمدة رخامية ضخمة، وتميزت بثراء زخارفها الجصية وجمال غرفها ومجالسها وشراجبها[١١٥]، ويكشف التصميم البرتغالي أن بكل ركن من الأركان الأربعة للقصر يوجد برج متعدد الطوابق ينتهي بصف من شرافات مدرجة، وهي تشبه بشكل عام أبراج القصبات الأمازيغية المنتشرة في جنوب المغرب (انظر: التصميم البرتغالي، لوحة ٢).

ومن خلال وصف الفشتالي يتبين أن لقصر البديع عدة أبواب بعضها رئيسة وأخرى ثانوية بالجهات الجنوبية والشمالية والشرقية[١١٦]، أحدها وهو المدخل الرئيس كان يقع في القطاع الجنوبي الغربي للجدار الجنوبي للقصر، وكان عبارة عن مدخل منكسر: "لا تحصى لياته وتعاريجه"[١١٧]، ويشتمل الضلع الجنوبي للقصر أيضًا على فتحة باب كانت تصل هذا القصر بالحمام الملاصق للجدار الجنوبي للقصر[١١٨]، أما الضلع الشرقي للقصر فكان به فتحة باب تتوسط الجدار الشرقي للقبة الزجاجية، وكان يوصل إلى بستان المشتهى المجاور للقصر من الجهة الشرقية[١١٩]، ويتضح من خلال مخطط كوليوس أن كلاً من الواجهتين الغربية والشمالية لقصر البديع كانت

تشتمل على مدخلين يتقدم كل منهما سلم، وكانت هذه المداخل تفضي إلى داخل القصر (انظر: مخطط كوليوس، شكل ٢).

ثم انتقل الفشتالي إلى وصف حمام القصر، وعلى الرغم من عدم الإشارة إلى مكانه، فإن كوليوس حدد موقعه بدقة على مخططه، وأشار إليه بحرف "O" (انظر: مخطط كوليوس، شكل ٢)، ويقع هذا الحمام خارج القصر بملاصقة جداره الجنوبي بين قصر الخيل أو الإسطبل الذي يحده من الجهة الجنوبية الشرقية، وقبة التيجان التي تحده من الجهة الجنوبية الغربية، ولهذا الحمام أربعة أبواب يفضي أحدها إلى قصر محمد الشيخ والد أحمد المنصور المجاور لقصر البديع، والثاني يوصل إلى قبة التيجان، أما الباب الثالث فيفضي إلى قصر البديع، والباب الرابع يوصل إلى المدخل الرئيس للقصر الواقع بالقطاع الجنوبي الغربي للجدار الجنوبي للقصر[١٢٠] (انظر: مخططي كوليوس ومفتشية مراكش، الشكلان ١- ٢). وهذا يشير إلى أن هذا الحمام كان يخدم فضلاً عن قصر البديع، بعض الوحدات المجاورة له؛ كالإسطبل التابع للبديع، وقصر محمد الشيخ والد أحمد المنصور، الذي أقام به هذا الأخير قبل بناء البديع، كما سبقت الإشارة.

ويشتمل هذا الحمام على خمسين عمودًا من الرخام، وزع اثنا عشر عمودًا منها على الجوانب الأربعة لصحن الحمام، ووزعت بقية الأعمدة على الوحدات الأخرى للحمام كبيوت الاستحمام والمسجد الملحق بهذا الحمام، كما ألحق بهذا الحمام أيضًا سقاية (سبيل) وميضأة، ويشتمل الحمام على "باجين" أي حوضين من الرخام يصب فيهما أنبوبان أحدهما مخصص للماء الساخن، والآخر للماء البارد، وبداخل هذا الحمام أيضًا نافورات على هيئة أسود من الرخام يخرج الماء من أفواهها[١٢١].

وإلى الجنوب من حمام القصر السابق وصفه كان يقع الإسطبل الملحق بالقصر، والذي أطلق عليه أحمد المنصور اسم "قصر الخيل"، وقد استمرت أعمال البناء بهذا الاسطبل حتى عام (١٠١١هـ/ ١٦٠٢م) كما سبقت الإشارة[١٢٢] (انظر: مخطط كوليوس، شكل ٢).

وقد أفاد الفشتالي أن غرف القصر- سيما المخصصة للحريم- تتوفر في إحدى جدرانها على: "شكل الفانوس الكبير مغشى بصفيح النحاس الأصفر الصقيل قد مثل بجدار كل دار منه شكل معتام لمناولة ما يرد من

المرافق والمأكل والمشارب على الديار يدور بوجهه عند الداعية من الإماء والخدم القائمة بخدمة سيداتها من أهل الحجاب العالي فيلقين في جوفه من وراء الجدار، ثم يدور بوجهه لداخل المنزل فتقع المناولة من غير أن تتراءى إلى الأشخاص، وتبدو منها للعين قلامة ظفر"(١٢٣).

وقد فسر بعض الباحثين ما ذكره الفشتالي في هذا النص بأنه اختراع جديد على نحو ما يسمى حديثًا بالخادم الآلي، وهو عبارة عن خزنة طعام آلية تتحرك تلقائيًا بأصناف المأكولات من المطبخ إلى غرف الأميرات والحريم، مما يشبه المصعد المعروف في الفنادق الكبرى(١٢٤). والواقع أن ما وصفه الفشتالي ينطبق تمامًا على دولاب المناولة الذي استخدم في عديد من المنازل والدور الإسلامية؛ لتوفير الخصوصية، وتجنب ضرر الكشف للنساء القاطنين بالمنزل، وهو عبارة عن دولاب حائطي مكون من عدة أرفف يدور على محور خشبي، يوضع عليها الطعام، ثم يدار الدولاب من الخارج إلى الداخل، فيتناوله من بالداخل من على هذه الأرفف دون أن ينكشف عليهم أحد، وهو نفس سبب تزويد مكان إقامة النساء بقصر البديع بهذه الدواليب الحائطية، فقد وضعت: "إغياء في الاحتجاب ومبالغة في الغيرة"(١٢٥).

وإضافة لما سبق، ذكر الفشتالي أن قصر البديع كان يشتمل على: "دنيا من تحت الأرض– يقصد تحت أرض القصر– قد توارت محاسنها بالغور عن لفع العيون"(١٢٦). فقد كان يوجد وما زال تحت أرض القصر سراديب تضم عديدًا من المرافق والوحدات المعمارية، كانت تستخدم كمطابخ ومغاسل ومخازن وغيرها من الوحدات الخدمية، وكان يعمل بها مئات من الخدم دون أن يراهم أو يشعر بهم ساكنو القصر وضيوفه(١٢٧).

مواد الإنشاء المستخدمة في بناء القصر:

وعلى أية حال، وضح من وصف الفشتالي لقصر البديع تعدد مواد الإنشاء التي استخدمت في بنائه؛ كالرخام والزليج والخشب والجص والمعادن والزجاج، فقد استخدم الرخام في كسوة أرضيات عديد من وحدات هذا القصر ومرافقه، وكذلك كسوة أرضيات أحواض المياه التي بصحن القصر، وفي عمل فساقي المياه وعديد من التماثيل التي على هيئة أسود

وحيات وطيور يفور الماء من أفواهها[١٢٨]، واستخدم أيضًا في عمل الأعمدة وتيجانها، وقد بلغ عدد الأعمدة المستخدمة في بناء القصر خمسمائة عمود، مائة منها استخدمت في بناء القباب الأربعة والأروقة التي تتقدمها، بينما وزعت الأربعمائة عمود الأخرى على باقي الوحدات المعمارية المحيطة بصحن القصر[١٢٩]، بالإضافة إلى خمسين عمودًا استخدموا في بناء الحمام الملحق بالقصر[١٣٠].

وتنقسم هذه الأعمدة إلى نوعين، أولهما مستورد من البندقية وغيرها من بلدان أوربية، وهو الأكثر استخدامًا، ويمتاز بلونه الأبيض الناصع، أما النوع الثاني فهو محليًا يستخرج من مقالع مراكش، وتتميز أعمدة هذا النوع بضخامة أبدانها ولونها الزمردي أي الأخضر المائل إلى الزرقة، وكانت هذه الأعمدة المحلية توضع بين صفوف الأعمدة المستوردة لتدعمها في حمل الأسقف، ونظرًا لضخامة أبدان هذه الأعمدة المحلية استخدمت مفردةً، بينما تم الجمع بين كل ثلاثة أعمدة مستوردة عند الاستخدام على شكل مثلث أو على هيئة زاوية منفرجة[١٣١]، مما يشير إلى رقتها وعدم ضخامة أبدانها.

كما استخدمت إزارات من الرخام في كسوة بعض أجزاء من جدران القصر نقشت عليها كتابات عبارة عن أبيات من الشعر، تتضمن أحيانًا تاريخ إنشاء القبة أو القاعة أو الباب الذي نقشت عليه بطريقة حساب الجُمَّل، وتتضمن أيضًا مدحًا لمنشئ القصر أحمد المنصور، وكذلك تمدح القصر بصفة عامة والقاعة أو القبة التي نفذت بداخلها هذه الكتابات بصفة خاصة، وقد نفذت هذه الكتابات برخام أسود على أرضية من رخام أبيض[١٣٢].

أما الزليج المتعدد الألوان فقد استخدم في كسوة الممرات أو المماشي سواء التي تفصل بين أحواض المياه والحدائق التي بصحن القصر، أو التي تفصل بين المربعات المغروسة بالأشجار والزهور في الحدائق الأربعة الموجودة على جانبي حوض الماء الكبير، الذي يتوسط صحن القصر، وكذلك في كسوة بعض أرضيات قاعات ووحدات القصر المختلفة، وفي كسوة الأجزاء السفلى لجدرانها، وكانت هذه الكسوة تنتهي في الغالب بشريط نفذت عليه كتابات تتضمن أبياتًا من الشعر تشبه في مضمونها تلك المنفذة على الرخام السابق وصفها تمامًا[١٣٣].

وقد استخدم الخشب في عمل أسقف عديد من قباب وقاعات القصر وأسقف الأروقة التي تتقدم القباب والرفارف التي تتوج الجدران، وفي صنع مصاريع الأبواب والشبابيك التي تغلق على النوافذ، كما استخدم الخشب أيضًا في عمل السقالات لتسهيل عملية الارتقاء أثناء بناء الأجزاء العليا، وقد سماها الفشتالي بـ" المنارة" عند وصفه لبناء القبة الخمسينية، حيث ذكر: "ولقد بلغت المنارة التي عرج بها المعلمون إلى السماء، وتسنموا ذروتها حتى توصلوا إلى تأليف أجزاء هذا السقف الضخم إلى سبعمائة حمل، وهو كل زوج من أفراد الأخشاب الأرزية الضخمة ... ومن الحديد المؤلف لأجرامها مائة قنطار"(١٣٤)، ويشير هذا الوصف فضلاً عن ارتفاع سقف القبة الخمسينية إلى نوع الخشب المستخدم في البناء، وهو خشب الأرز، الذي كانت غاباته الغنية تنتشر وما زالت بمختلف مناطق المغرب، كما ذكر الفشتالي نوعًا آخر من الأخشاب المستخدمة في بناء القصر، وهو خشب الخلاف أي الصفصاف الذي استخدم في عمل سقف قبة الزجاج(١٣٥).

كذلك استخدم الجص في كسوة جدران القصر، فإذا كانت الأجزاء السفلى من جدرانه قد كسيت بالزليج المتعدد الألوان أو بالرخام كما سبقت الإشارة، فإن الأجزاء العليا والأسقف– في كثير من الأحيان– كسيت بالجص المنقوش بزخارف دقيقة متنوعة، فقد ذكر الفشتالي في سياق وصفه لسقف القبة الخمسينية، أنه يوجد تحته: "بحر من الجص طامي العباب بالعجائب، وهناك تخارق الأحكام، وتماجنت النقوش، وتفننت الصنائع تدبيجًا وتكريشًا وتحرشفًا وكتابة تركب حروفها غصون التشجيرات، وتتخللها قصب الورق اللطيف"(١٣٦)، وفي سياق وصفه أيضًا لقبة النصر، ذكر الفشتالي: "وإذا نظرت إلى غلائلها من الجص المرقومة بكل يد صناع وذهن مليء بالحكمة، نظرت إلى ما يحجم عنه البيان، وتكل العبارة تدقيقًا وتعميقًا وتخليصًا وتمويهًا وإدماجًا في زليجها المنظوم الأزر بالفرش تحار الأذهان، ويتلعثم اللسان، وقد تنادت فيها الصنائع المتفننة بالمبارزة وبلوغ الإغياء في لطف جواهرها الفردية لغاية لا تستبين العين صورها دقة وإدماجًا، كأنما رقمتها الإبر اللطيفة، يغشي العيون أشعتها المنبعثة، لا يكاد يثبت البصر عليها صقلاً، وتبرجت منها القبة في حلة من الوشي سابغة، تستهان عندها الستور المرقومة والزرابي المبثوثة"(١٣٧)، ويكشف هذا الوصف عن مقدرة

فائقة في تنفيذ الزخارف على الجص بمستويات عديدة من الحفر الغائر أو البارز، صارت معها أجمل من الزخارف المنفذة بالإبر على الستور والسجاد، واستقرار الكتابات على أرضية نباتية عبارة عن أفرع نباتية تتصل بها أوراق أو مراوح نخيلية.

كما استخدمت أنواع مختلفة من المعادن في قصر البديع، كالحديد والنحاس والبرونز، فقد ذكر الفشتالي في سياق حديثه عن أحد أبواب القصر أنه مصفح بالحديد المثبت بمسامير ضخمة(١٣٨)، واستخدم الحديد أيضًا في عمل شبابيك كبيرة، ركبت على الفتحات النافذة بقاعات وغرف القصر، وذلك لـ: "جلب الضياء الفائض الشعاع للديار"(١٣٩)، واستخدم النحاس في عمل الجامور الذي يعلو الأسقف الجمالونية التي تعلو قباب القصر، وهو عبارة عن عمود من النحاس ثبتت فيه- كما سبقت الإشارة- عدة كرات أو تفافيح من النحاس(١٤٠)، واستخدم النحاس أيضًا في عمل الأنابيب والقواديس التي توزع المياه إلى وحدات القصر المختلفة، وكذلك في عمل الصنابير التي تتحكم في إخراج المياه(١٤١)، واستخدم النحاس أيضًا في تصفيح دواليب المناولة الموجودة في بعض قاعات وغرف الحريم بالقصر(١٤٢)، كما استعمل مسحوق الذهب والفضة في طلاء بعض التماثيل التي على هيئة أسود وطيور يخرج الماء من أفواهها(١٤٣)، وأيضًا في طلاء تيجان الأعمدة(١٤٤).

كذلك استخدم الزجاج على نطاق واسع في قصر البديع، ويشهد على ذلك تسمية إحدى القباب الرئيسة بالقصر، وهي القبة الشرقية بـ "قبة الزجاج"(١٤٥)، نظرًا لاستخدام قطع الزجاج في سد الفتحات التي تتخلل سقفها الخشبي على غرار سقف الحجرة الساخنة "الجواني" بالحمامات الإسلامية.

وبعد هذه التفاصيل الدقيقة التي زودنا بها الفشتالي عن قصر البديع سواء عن الشكل المعماري ومواد الإنشاء والتفاصيل الزخرفية، انتقل إلى وصف أحد ملحقات قصر البديع وهو بستان المسرة ثالث منشآت هذا القصر الملكي، الذي شيده أحمد المنصور، وهو يقع جنوب قصبة مراكش بين سور هذه القصبة وجنان الصالحة، حيث أكْدال الحالية، كما سبقت الإشارة، وكان بينه وبين القصر طريق غرست على جانبيه الأشجار، وكان يشغل هذا البستان مساحة كبيرة، فقد ذكر الفشتالي، أنه يبدو: "من بعد الأقطار

وانفساح الخطة قد مد على البسيط الأفيح جناحًا أخضر تكل في جوبه جياد الرهان"[١٤٦]، كما ذكر المقري عند زيارته لهذا البستان عام (١٠٠٩هـ/ ١٦٠١م) أنه كان يشتمل على ستة عشر ألفًا من أشجار النارنج عدا سواها من الأشجار[١٤٧]، وقد قسمت مساحة هذا البستان إلى مربعات تفصل بينها ممرات، وبداخل هذه المربعات غرست أنواع متعددة من الأشجار؛ كالنارنج والعنب والرمان والنخيل والزيتون والأترج وغيرها، بالإضافة إلى أنواع مختلفة من الزهور، وكان هذا البستان يشتمل أيضًا على حوض كبير المساحة، صفت على جانبيه الشرقي والغربي مجموعة من الفساقي، يخرج من كل منها أنبوب يفور منه الماء[١٤٨].

وقد ذكر كل من الفشتالي والمقري أن أحمد المنصور شرع في بناء مدينة كبيرة إلى الجنوب من الحوض أو الصهريج الذي يوجد بداخل بستان المسرة، خصصها لسكنى مماليكه، تضمنت عديدًا من القصور والحدائق وأحواض المياه[١٤٩]، مما يشير إلى أن الحدائق كانت مكونًا أساسيًا في عمارة هذه المساكن، وعمارة القصور المغربية بصفة عامة.

فضلاً عن ذلك أشار الفشتالي إلى وجود بستان جنوب قصر البديع أطلق عليه أحمد المنصور اسم "بستان النهر"، لكونه كان يضم نهرًا أجراه المنصور إلى قصره، وهو محفوف على الجانبين بأشجار النارنج والآس، وقد ذكر الفشتالي أن هذا النهر: "غير مغمد السيف حتى ينتهي إلى قرابة من القبو المعد له تحت القبة الخضراء"[١٥٠]، ويشير هذا النص إلى أن هذا النهر مكشوف في قطاعه الذي يقع خارج القصر، ثم يغطي قبل أن يصل إلى القصر، ويمتد حتى يصل إلى الدار الخضراء بالركن الشمالي الشرقي للقصر، وهو يزود كل مرافق القصر وأحواضه وفساقيه وحدائقه بما تحتاجه من ماء.

وأفاد الفشتالي أن أحمد المنصور شيد في مقابل بستان النهر قبة كبيرة يبلغ طول ضلعها أكثر من ثلاثمائة شبر؛ لتتسع للاحتفالات في المواسم والأعياد والوفود والسفراء الأجانب القادمين من مختلف بلاد المشرق والمغرب، وإلى الغرب من هذه القبة شيد المنصور برجًا أعد لحمل المدافع: "القاذفة بمارج البارود وشواظ النار في سبيل الإغياء والمبالغة في المنعة والتحصين"[١٥١].

وعلى أية حال، فإن هذه التفاصيل المعمارية المهمة عن قصر البديع وملحقاته تكمل- ولا شك- صورة عمارة هذا القصر بصفة خاصة، وتضيف إلى معرفتنا بالعمائر السعدية على وجه العموم، ويمكن من خلالها فضلاً عن الروايات والمخططات والرسومات المعاصرة لفترة ازدهار القصر قبل تعرضه للهدم، إلى جانب البقايا المعمارية القائمة التعرف على مواد الإنشاء التي استخدمت في بناء هذا القصر، وتخطيطه المعماري وأدق تفاصيله المعمارية والزخرفية، إلى درجة تسمح بتجديده وترميمه على نفس الشكل القديم، نظرًا لاختفاء القصور التي شيدتها الدول السابقة على العصر السعدي بالمغرب من جهة، وعدم توافر معلومات عن التخطيط والشكل المعماري لهذه القصور كما هو الحال في قصر البديع من جهة أخرى.

الوصف المعماري لبقايا قصر البديع:

على الرغم من حالة الخراب التي وصل إليها قصر البديع، إلا أنه ما زال محتفظًا بجدرانه الخارجية التي تحدد مساحته ووحداته وعناصره المعمارية، وقد شيدت هذه الجدران من الطابية، ويبلغ سمكها نحو ٢م، ويلاحظ أنها غير متساوية في الارتفاع؛ نظرًا لتدهور حالة بعض أجزائها، ويتم الدخول إلى القصر حاليًا من فتحة باب بالقطاع الشمالي الشرقي للواجهة الشمالية للقصر (لوحة ٤).

ويشغل هذا القصر مساحة مستطيلة منتظمة الشكل، ويتوسطه صحن مكشوف يشغل مساحة مستطيلة أيضًا يبلغ طولها من الغرب إلى الشرق ١٣٥م، وعرضها من الشمال إلى الجنوب ١١٠م، أي أنه يشغل مساحة كلية تبلغ ١٤٨٥م^{٢}، ويتوسط الصحن صهريج أو حوض مستطيل الشكل يبلغ طوله من الغرب إلى الشرق ٩٠م، بينما يبلغ عرضه من الشمال إلى الجنوب ٢٠م، أي أن مساحته الكلية تبلغ ١٨٠٠م^{٢}، وتنخفض أرضيته عن مستوى أرضية الصحن بمقدار ١,٣٥م، لذلك يوجد بكل ركن من أركانه الأربعة سلم هابط مكون من ست درجات، ويتوسط هذا الحوض مسطبة مربعة يبلغ طول ضلعها ٨,٩٠م، كانت تستخدم كقاعدة لفسقية من الرخام (الشكلان ١- ٢) (لوحة ٥).

ويوجد على جانبي هذا الحوض السابق وصفه أربع حدائق، توزيعها حديقتان بجانبه الشمالي، وأخريان بجانبه الجنوبي، وهي متشابهة تمامًا؛

حيث تشغل كل منها مساحة مستطيلة يبلغ طولها من الغرب إلى الشرق ٤٤م، ويبلغ عرضها من الشمال إلى الجنوب ٣٣م، أي أن مساحتها الكلية تبلغ ١٤٥٢م٢، وتنخفض أرضية كل حديقة منها عن مستوى أرضية صحن القصر بمقدار ٢,٢٠م، ويوجد بكل ركن من أركانها الأربعة سلم هابط مكون من اثنتي عشر درجة، وقد كانت هذه الحدائق مقسمة إلى مربعات غرست بالأشجار والزهور، ويفصل بينها ممرات فرشت بالزليج المتعدد الألوان (اللوحتان ٥– ٦).

وفي كل ركن من أركان صحن القصر، يوجد حوض مستطيل، ويلاحظ أن هذه الأحواض الأربعة متشابهة تمامًا (الشكلان ١– ٢)، حيث يبلغ طول كل حوض منها من الشمال إلى الجنوب ٣٣,٧٥م، وعرضه من الغرب إلى الشرق ١٢,١٠م، أي أن مساحته الكلية تبلغ نحو ٤٠٤م٢، وتنخفض أرضيته عن مستوى أرضية الصحن بمقدار ١,١٥م، ويوجد في ركنين فقط من الأركان الأربعة لكل حوض سلم هابط مكون من أربع درجات (لوحة ٧)، ويفصل بين هذه الأحواض الأربعة والحوض الكبير الذي يتوسط صحن القصر والحدائق الأربعة التي على جانبيه، ممرات كانت مفروشة بالزليج المتعدد الألوان. ويلاحظ أن مستوى أرضية هذه الحدائق الأربع جاء أقل من مستوى أرضية أحواض المياه، ربما لتفريع مياه هذه الأحواض في هذه الحدائق؛ لاستغلالها في ري الأشجار المزروعة بها، وبالتالي تجديد مياه هذه الأحواض لضمان عدم تغير لونها ورائحتها أيضًا.

ويطل على صحن القصر أربع واجهات، كانت كل واجهة تشبه المقابلة لها تمامًا، فالواجهتان الشرقية والغربية يتوسط كل منها قبة، الشرقية تعرف بقبة الزجاج، أما القبة الغربية فتعرف بالقبة الخمسينية، وفي حين سقطت جدران القبة الشرقية تمامًا، ولم يبقَ إلا أساسات جدرانها (لوحة ٧)، ما زالت جدران القبة الغربية بكامل ارتفاعها (لوحة ٨)، ويبلغ سمك جدران هذه القبة ١,٥٠م، وهي تشغل مساحة مربعة، يبلغ طول ضلعها من الداخل ١٦م، أي أن مساحتها الكلية تبلغ ٢٥٦م٢، ويتوسط ثلاثة من جدرانها وهي الشرقية والشمالية والجنوبية فتحة باب يعلوها عتب مسطح، ويبلغ اتساعها ٣,٣٠م، بينما يبلغ ارتفاعها ٦م، وكانت هذه الأبواب تفتح على الرواق الذي كان يحيط بهذه القبة من الجهات الشرقية والشمالية والجنوبية، غير

أنه اختفى حاليًا، أما الجدار الرابع لهذه القبة، وهو الجدار الغربي، فتتوسطه نافذة كبيرة مستطيلة الشكل بنفس مقاسات الأبواب الثلاثة السابق الإشارة إليها، ويغلق عليها شباك من مصبعات حديدية (لوحة ٩)، وعلى جانبي هذه النافذة توجد فتحتا بابين متشابهتان تمامًا؛ حيث يبلغ اتساع كل منها ١,١٥م، وارتفاعها ٣,٥٠م، ويعلوها عقد على هيئة حدوة الفرس، وهما تفضيان إلى الملحقات التي كانت تقع خلف هذه القبة (لوحة ٩).

ويتوسط أرضية القبة الخمسينية حوضان مستطيلان متشابهان تمامًا؛ حيث يبلغ طول كل منهما من الشرق إلى الغرب ٣,٣٠م، بينما يبلغ عرضه من الشمال إلى الجنوب ١,٦٥م، ويبلغ عمق كل منهما ٠,٣٣م، وكسيت أرضيته بالزليج المتعدد الألوان في تشكيلات هندسية ما زال بحالة جيدة (لوحة ٩)، ويوجد بين هذين الحوضين فجوة عميقة دائرية الشكل، كان في مكانها – وفقًا لوصف الفشتالي– فسقية مستديرة من الرخام، لكنها اختفت حاليًا (لوحة ٩).

ويوجد على جانبي القبة الخمسينية حجرتان، إحداهما بملاصقة الطرف الجنوبي الغربي لجدارها الجنوبي، والأخرى تلاصق الطرف الشمالي الغربي لجدارها الشمالي (اللوحتان ٨، ١٠)، ويلاحظ أنهما متشابهتان تمامًا؛ حيث تشغل كل منهما مساحة مستطيلة يبلغ طولها ٦,٤٠م وعرضها ٤,٣٠م، وقد سقطت الأجزاء العليا لجدران كل منهما، ويبلغ ارتفاع الأجزاء الباقية نحو ٦م، ولكل حجرة منهما فتحتا بابين يعلو كل فتحة منهما عقد على هيئة حدوة فرس مدبب، سد الجزء السفلي منها حاليًا بالبناء (لوحة ٨)، كما يلاحظ تهدم الجدار الشرقي وجزء من الجدار الشمالي للحجرة الملاصقة للجدار الشمالي للقبة الخمسينية (لوحة ١٠).

أما الواجهتان الشمالية والجنوبية للقصر (اللوحتان ١١– ١٢)، فيلاحظ أنهما متشابهتان تمامًا؛ حيث يتوسط كل منهما وحدة معمارية تضم عدة حجرات متصلة أطلق الفشتالي على الشمالية منها اسم "قبة النصر"، أما الجنوبية فسماها "قبة التيجان"، وقد تعرضت هاتان الوحدتان المعماريتان لتجديدات حديثة لاستخدام إحداهما وهي الشمالية كمتحف يضم كل ما عثر عليه، ويخص قصر البديع من قطع رخامية أو خشبية وغيرها، وغير ذلك مما يتعلق بغيره من آثار الأشراف السعديين، أما الوحدة الأخرى فجددت

لتضم كل ما يتعلق بمعاصر ومصافي السكر التي أكثر السعديون من إنشائها في عهدهم، وبخاصة في جنوب المغرب[١٥٢]، وتطل كل وحدة منهما على الصحن ببائكة مكونة من خمسة عقود على هيئة حدوة فرس أوسطها أكثرها اتساعًا وارتفاعًا، ترتكز على أربع دعامات مثمنة من الآجر في الوسط، وكتفين بنائيين في الأركان، وقد كانت هذه العقود ترتكز في الأصل– وفقًا لوصف الفشتالي– على أعمدة رخامية، ثم استعيض عنها بهذه الدعامات في التجديدات الحديثة السابق الإشارة إليها، وهذه البائكة تخص الرواق الذي يتقدم كلاً من هاتين الوحدتين، وعلى جانبي هذه البائكة توجد فتحتا بابين متشابهتان تمامًا، ويعلو كلاً منهما عقد على هيئة حدوة فرس، وهما يوصلان إلى داخل هذه الوحدة المعمارية التي قسمت من الداخل– كما سبقت الإشارة– إلى مجموعة من حجرات تتصل بعضها بالأخرى (اللوحتان ١١– ١٢).

ووزعت على جانبي هاتين الوحدتين المعماريتين السابق وصفهما مجموعة من الحجرات، لكل منها فتحة باب مستطيلة يعلوها عتب مسطح، ما زال بعض هذه الحجرات بحالة جيدة، وبخاصة تلك التي توجد بالواجهة الجنوبية للقصر (لوحة ١٢)، في حين تهدمت واجهات عديد من حجرات الواجهة الشمالية (لوحة ١١)، وكان يعلو هذه الوحدات السابق وصفها في كل واجهة من الواجهتين الشمالية والجنوبية للقصر، طابق ثانٍ ما زالت بقاياه قائمة، وكذلك السلالم التي كانت تؤدي إليه ما زالت قائمة أيضًا (اللوحات ١١، ١٣، ١٤)، مما يشير إلى أن القصر كان يتكون من مستويين في الضلعين الشمالي والجنوبي، وهما الدور الأرضي والطابق الأول.

ويوجد خلف الوحدات المعمارية السابق وصفها بالضلع الشمالي للقصر مجموعة من الحجرات والوحدات المعمارية (اللوحتان ١٥– ١٦)، تختلف فيما بينها من حيث التخطيط والمساحة، ويشتمل بعضها على محاريب مجوفة (لوحة ١٧)؛ مما يرجح أنها كانت تستخدم كمسجد للصلوات الخمس، كما ذكر الفشتالي، كذلك تضم إحدى هذه الحجرات مدخنة مستطيلة المسقط شيدت من الآجر، يلاحظ أن بدنها يستدق كلما ارتفع البناء (لوحة ١٨)، وقد ذكر أحد الباحثين أنها كانت تخص معامل النقد "دار السكة"[١٥٣]، سيما وأن الإفراني ذكر في سياق حديثه عن كثرة الذهب بخزائن أحمد المنصور بعد

فتحه لبلاد السودان الغربي، وأنه كان: "ببابه كل يوم أربعة عشر مائة مطرقة لضرب الدينار، دون ما هو معد لغير ذلك من صوغ الأقراط والحلي وشبه ذلك"(١٥٤).

وعلى الرغم من أن موقع دار السكة كان إلى الجنوب من جامع المنصور الموحدي الذي يقع بدوره خلف الواجهة الغربية لقصر البديع (خريطة ١)، غير أنه لا يستبعد تخصيص أحمد المنصور جزءًا من قصره لدار السكة، كما لا يستبعد أيضًا أن تكون هذه المدخنة السابق وصفها خاصة بالمطابخ الموجودة أسفل أرضية القصر.

وعلى أية حال، توجد أسفل أرضية القصر عديد من السراديب أو الممرات تغطيها أقبية نصف أسطوانية شيدت هي والجدران التي تحملها من الآجر (اللوحات ١٩- ٢١)، وقد وزعت على جانبي هذه الممرات مجموعة من الحجرات تشغل مساحات مستطيلة متفاوتة فيما بينها، ولكل حجرة منها فتحة باب تطل على الممر الذي يتقدمها، ويعلو فتحة الباب غالبًا نافذة مستطيلة (لوحة ١٩)، وقد كانت هذه الوحدات تستخدم – كما سبقت الإشارة- كمطابخ ومغاسل ومخازن وغيرها من الوحدات الخدمية، وكان يعمل بها مئات من الخدم دون أن يراهم أو يشعر بهم من بالقصر.

الوصف المعماري لبستان المشتهى:

يقع هذا البستان – كما سبقت الإشارة- بملاصقة الجدار الشرقي لقصر البديع (الشكلان ١- ٢)، وكانا يتصلان معًا من خلال فتحة باب تتوسط الجدار الشرقي لقبة الزجاج وفقًا لما ذكره الفشتالي، ولكن بعد اندثار هذه القبة سد الجزء الذي كان يمثل جدارها الشرقي بما فيه فتحة الباب السابق ذكرها ببناء حديث (لوحة ٢٢)، ويشغل هذا البستان مساحة مستطيلة يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب ١٠٠م، ويبلغ عرضها من الشرق إلى الغرب ٩٣م، أي أن مساحته الكلية تبلغ ٩٣٠٠م٢، وهو حاليًا عبارة عن أرض فضاء باستثناء بعض أشجار متناثرة (لوحة ٢٣)، ووضعت به بعض أجهزة الاتصالات، سيما وأنه أصبح يتبع حاليًا القصر الملكي العلوي المجاور لقصر البديع من الجهة الجنوبية (اللوحتان ٢٣- ٢٤)، كما أن المساحة التي يشغلها الحمام الملحق بقصر البديع والإسطبل الذي كان يعرف بـ"قصر

الخيل" الملاصقين للقطاع الجنوبي الشرقي للجدار الشرقي لقصر البديع، أصبحا تابعين حاليًا للقصر الملكي العلوي (شكل ٢).

أيًا ما كان الأمر، فعلى الرغم من حالة الخراب التي وصل إليها قصر البديع، فإن معالم تخطيطه ما زالت واضحة، وما بقي منه من أجزاء يفيد في معرفة مواد وأساليب الإنشاء، فضلاً عن التخطيط المعماري لهذا القصر، وتكمل مع ما سبق ذكره من وصف المؤرخين المغاربة وروايات ورسومات الأجانب صورة قصر البديع في عصر ازدهاره، ويزيد هذه الصورة وضوحًا مقارنة هذا القصر بناءً وزخرفة بالمنشآت السعدية القائمة بعديد من مدن المغرب كمراكش وتارودانت وفاس[١٥٥]، سيما وأن بعض هذه المنشآت شيد على يد أحمد المنصور أيضًا، كالفسقية الرخامية والقبة الخشبية التي تعلوها التي تتوسط الضلع الشرقي لصحن جامع القرويين بفاس (٩٩٦هـ/ ١٥٨٧م) [١٥٦] (اللوحتان ٢٥– ٢٦)، وخزانة الكتب التي زود بها المنصور جامع القرويين أيضًا، وتقع خلف جدار القبلة على يسار خزانة المصاحف المرينية الواقعة بدورها على يسار المحراب، وهي عبارة عن قاعة مربعة الشكل طول ضلعها ٥,٥٠م وارتفاع جدرانها الأربعة ٧م، ويغطيها سقف خشبي هرمي الشكل غطي من الخارج بحطات من القرميد المزجج باللون الأخضر[١٥٧]، وكذلك قبور السعديين بمراكش الواقعة بالقرب من قصر البديع[١٥٨] (اللوحات ٢٧– ٣٠)، وفي ضوء ما سبق يمكن القول إن قصر البديع يستحق أن يعنى ببقاياه عناية كبيرة؛ لما لهذه البقايا من قيمة أثرية كبيرة.

وتبقى الإشارة إلى ما ذكره عديد من الباحثين حول غلبة الطابع الأندلسي على قصر البديع بصفة عامة[١٥٩]، وتأثر تخطيطه بتخطيط فناء الأسود بقصر الحمراء بغرناطة[١٦٠]، وبفناء البركة بنفس القصر المذكور[١٦١].

ولمناقشة هذه الآراء تجدر الإشارة إلى الوصف المعماري لفناء الأسود (شكل ٣)، فهو عبارة عن فناء مكشوف يشغل مساحة مستطيلة (٢٨,٥م × ١٥,٧٠م)، تتوسطه فسقية من الرخام دائرية الشكل يحملها اثنا عشر أسدًا من الحجر، صفت على شكل دائرة، ويحيط بهذا الفناء بكل جانب من جوانبه الأربعة سقيفة، تشرف عليه ببائكة مكونة من مجموعة من الأعمدة

الرخامية تحمل عقود على هيئة حدوة الفرس، وبكل من الضلعين الشرقي والغربي لهذا الفناء فسقية دائرية الشكل من الرخام، تعلوها قبة خشبية، ترتكز على أعمدة من الرخام، وتأخذ هذه القبة من الخارج هيئة هرمية الشكل غطيت بالقرميد، ويتوسط كل من الجدارين الجنوبي والشمالي فتحة باب، الجنوبية تفضي إلى قاعة بني سراج، أما الشمالية فتوصل إلى قاعة الأختين، كما يتوسط الجدار الشرقي لفناء الأسود فتحة باب تفضي إلى قاعة العدل[١٦٢] (شكل ٣).

ويكشف هذا الوصف عن اختلاف تخطيط فناء الأسود عن تخطيط قصر البديع، سواء من حيث المساحة أو التكوين المعماري والوظيفة أيضًا، ففي حين يتوسط كل ضلع من الضلعين الصغيرين بفناء الأسود فسقية تعلوها قبة خشبية ترتكز على أعمدة رخامية، نجد أنه يقابلها في قصر البديع قاعة مربعة كبيرة المساحة تغطيها قبة ترتكز على الجدران الأربعة لهذه القاعة، ويحيط بها رواق من ثلاث جهات، وكانت تستخدم لعقد المجالس واستقبال الوفود، أما الضلعان الكبيران بفناء الأسود، فيتوسط كل منهما فتحة باب تفضي إلى قاعة واحدة، ونجد أن الضلعين الكبيرين لصحن قصر البديع وزعت عليهما كل القاعات والوحدات السكنية بهذا القصر، بل وفي طابقين وليس طابق واحد، كما هو الحال بفناء الأسود، وذلك لأن هذا الفناء وحدة معمارية فرعية بقصر الحمراء، في حين أن تخطيط قصر البديع قائم في الأساس على توزيع كل الوحدات المعمارية حول الصحن، والذي أصبح بمثابة المحور الذي التفت حوله كل وحدات القصر، وهذا ينطبق أيضًا على الرأي القائل بتأثير تخطيط قصر البديع بفناء البركة بقصر الحمراء (شكل ٣)، الذي يعد أيضًا وحدة فرعية بهذا القصر، وزعت على جانبيه وحدات معمارية قليلة ومحدودة، وبالتالي لا يسيطر بدوره على التخطيط العام لقصر الحمراء(شكل ٣).

والواقع أن تخطيط قصر البديع يعد من أقدم أنماط تخطيطات القصور بالغرب الإسلامي، إذ تبين من خلال أطلال قصور الخلافة الأموية بالأندلس، وما كشفت عنه الحفائر، وبخاصة في مدينة الزهراء أن تخطيط قصورها التي شيدها كل من الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٢٥ – ٣٥٠هـ/ ٩٣٧–

٩٦١م)، وابنه الحكم المستنصر (٣٥٠- ٣٦٦هـ/ ٩٦١- ٩٧٦م)، ينقسم إلى نمطين رئيسين:

أولهما: القصر الذي يقوم حول فراغ مركزي هو الصحن، وتتوزع حوله جميع الوحدات المعمارية الأخرى.

والآخر: القصر الذي يتكون تخطيطه من بلاطات متوازية تفصل بينها أعمدة تحمل سلسلة من العقود، كما هو الحال في تخطيط أروقة المساجد بالأندلس(١٦٣).

كذلك كشفت حفائر الزهراء عن قصر من قصور الحكم المستنصر، يتضمن تخطيطه مجلسًا أو قاعة مستطيلة يتقدمها برطال أو سقيفة تطل ببائكة مكونة من خمسة عقود على فناء يشغل مساحة مربعة يبلغ طول ضلعها ٦,٩٠م، ومنذ ذلك الحين أصبح نمط البرطال أو البرطل الذي يتقدم المجلس أو القاعة تقليدًا متبعًا في بناء القصور حتى نهاية العصر الإسلامي، سيما وإذا كان البرطل يشرف على بركة تتيح لعقوده أن تنعكس صورها على صفحة مياهها؛ حيث نراها في عصر ملوك الطوائف في بهو الجص بقصر إشبيلية في عهد بني عباد، ثم أصبحت تقليدًا متبعًا في قصور الحمراء بغرناطة(١٦٤).

وفي عصر ملوك الطوائف بالأندلس بدأت تنتشر ظاهرة البركة أو الصهريج الكبير الذي يتوسط صحون القصور، كما هو الحال في قصر طليطلة الذي شيده المأمون بن ذي النون عام (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م)، والذي وضع في وسط هذه البركة قبة زجاج ملون منقوش بالذهب(١٦٥).

وقد شهدت قصور المرابطين والموحدين تطورًا واضحًا في تخطيط صحون القصور، ويظهر ذلك في قصر منتقوط الذي اكتشفت بقاياه في سهل مرسية، وهو يرجع إلى العصر المرابطي، ويتوسط هذا القصر صحن مستطيل الشكل يطل على ضلعيه الصغيرين جوسقان مربعان بارزان، يمهدان لجوسقي فناء الأسود بقصر الحمراء بغرناطة، ويتعامد ممران يؤلفان محوري البناء فيما بينهما على شكل "صليب"، وتمتلئ المستطيلات الأربعة الناشئة من هذا التعامد بأشجار البرتقال والليمون(١٦٦)، مما يذكر بتخطيط صحن قصر البديع موضوع البحث.

وفي عصر الموحدين ينتشر نمط البراطيل المطلة على الصحون التي تتوسطها برك، ويتمثل ذلك في برطال يطل على بهو الجص بقصر إشبيلية، وقد تطور هذا التخطيط في عصر بني الأحمر بغرناطة، وتمثل مجموعة قصور الحمراء بقاعاتها المتعددة الميل إلى الاستكثار من البرك التي تطل عليها براطيل وسقائف، وانتظمت على جانبي البرك أشجار الريحان(١٦٧).

ونخلص مما سبق إلى أن ظهور الطابع الأندلسي بقوة إلى جانب التقاليد المغربية المحلية في تخطيط وزخرفة قصر البديع السعدي بمراكش، يرجع إلى أن الفن المغربي في عصر الأشراف السعديين تميز باستيعابه للتراث الأندلسي قاطبة بمميزاته ومؤثراته، فجمع بذلك بين الرصانة المحلية والروعة الأندلسية، فأصبح الفن المغربي يتميز بقوة شخصيته التي لم يعد التراث الأندلسي إلا جزءًا بارزًا فيها(١٦٨)، ولولا احتضان المغرب لهذا التراث الأندلسي لكانت صفحة الفن والعمارة الإسلامية في الأندلس قد طويت، ذلك أن الأندلس القديمة تبدو اليوم بلادًا إسبانية نصرانية محضة، ولا تكاد قواعدها القديمة- باستثناء غرناطة وإشبيلية وقرطبة- تبدي شيئًا من مظاهرها الإسلامية، ولا نستطيع إلا بالبحث المجهد أن نظفر في بعض أحيائها أو أطلالها الدارسة بلمحات ضئيلة من طابعها الأندلسي(١٦٩).

فضلاً عن ذلك فإن قصر البديع تأثر- ولا شك- بالتأثيرات الأوربية؛ نظرًا لاشتراك عدد من المعماريين والصناع الأوربيين في بنائه وزخرفته، حيث حرص أحمد المنصور على الاستفادة منهم- كما سبقت الإشارة- في مشروعاته المعمارية والعمرانية.

حواشي البحث:

(١) ابن أبي زرع (علي بن عبد الله الفاسي، ت: ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٢م، ص ٣٨؛ الجزنائي (أبو الحسن علي، من أهل القرن ٨هـ/ ١٤م): جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩١م، ص ص ١٩، ٢٥.

(٢) ابن زبالة (محمد بن الحسن، ت: ١٩٩هـ/ ٨١٤م): أخبار المدينة، جمع وتوثيق ودراسة: صلاح عبد العزيز زين سلامة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٣م، ص ص ٩٣- ٩٥؛ وللاستزادة

حول هذه الظاهرة، انظر: محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص ص ٢٣٨– ٢٣٩.

(٣) السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٨٦م، ص ٥١.

(٤) ابن فضل الله العمري (شهاب الدين أحمد بن يحيى، ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع، ممالك اليمن والغرب الإسلامي وقبائل العرب، تحقيق: د. حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ظبي– الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٢م، ص ١٩٨.

(5) Marçais, G., L'Architecture Musulmane d'Occident Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile, Paris, 1954, p. 382.

(٦) الجزنائي: المصدر السابق، ص ١١٠.

(٧) الحميري (محمد بن عبد المنعم، توفي بعد عام ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: د. إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م، ص ٥٤٠؛ توريس بالباس: الفن المرابطي والموحدي، ترجمة: د. سيد غازي، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م، ص ص ٣٠– ٣١.

(8) Meunié, J., Terrasse, H., et Deverdun, G., Recherches Archéologiques à Marrakech, Arts et Métiers Graphiques, Paris, 1952, pp. 27- 32.

(٩) بالباس: المرجع السابق، ص ٣٣؛ محمد محمد الكحلاوي: العمارة الإسلامية في الغرب الإسلامي (عمائر الموحدين الدينية في المغرب) دراسة أثرية معمارية، رسالة دكتوراه، كلية الآثار– جامعة القاهرة، ١٩٨٦م، ص ص ٧٢– ٧٣؛ رشيد بورويبة: الطراز الموحدي ومشتقاته– الحفصي، المريني، الزياني، النصري، بحث نشر في كتاب الفن العربي الإسلامي، الجزء الثاني– العمارة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٩٥م، ص ٢٤٥.

(١٠) ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، السفر الرابع، ص ص ١٩٦، ١٩٨؛ الحميري: المصدر السابق، ص ٥٤٠؛ ليون الإفريقي (الحسن بن محمد الوزان، توفي بعد عام ٩٥٧هـ/ ١٥٥٠م): وصف إفريقيا، جزآن، ترجمة: د. محمد حجي ود. محمد الأخيضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت– لبنان، ١٩٨٣م، ج١، ص ١٣٣– ١٣٤.

(١١) ليون الإفريقي: المصدر نفسه، ج١، ص ص ٢٠٢– ٢٠٣.

(١٢) محمد المنوني: حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٩م، ص ١٦٥؛ حمدي عبد المنعم محمد حسين: مدينة سلا في العصر الإسلامي دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، مؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية، ١٩٩٣م، ص ص ٧١– ٧٣؛ إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ج١، ١٩٩٣م، ص ص ٣٤٨– ٣٤٩.

(١٣) عن القصور المرينية، انظر: ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، السفر الرابع، ص ص ١٧١– ١٧٢؛ ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص ص

٣٦٣، ٣٨٧؛ ابن الأحمر (أبو الوليد إسماعيل بن يوسف النصري، ت: ٨٠٧- ٨١٠هـ/ ١٤٠٤- ١٤٠٧م): روضة النسرين في دولة بني مرين، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، الطبعة الثانية، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩١م، ص ص ٢٩- ٣٠.

(١٤) روجيه لوتونو: فاس قبل الحماية، ترجمة: د. محمد حجي، ود. محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، ١٩٨٦م، الجزء الأول، ص ١٠٩.

(١٥) محمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٠م، ص ٧٦؛ عثمان عثمان إسماعيل: تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، الجزء الرابع- عصر الدولة المرينية ودولة بني وطاس، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ١٩٩٣م، ص ٢٤٣.

(١٦) مارمول (كربخال، ألف كتابه بعد عام ٩٧٩هـ/ ١٥٧١م): إفريقيا، ترجمة: د. محمد حجي وآخرون، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الثانية، ١٩٨٨- ١٩٨٩م، الجزء الثاني، ص ١٠.

(١٧) الفشتالي (عبد العزيز بن محمد، ت: ١٠٣٢هـ/ ١٦٢٢م): مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تحقيق: د. عبد الكريم كريم، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م، ص ٢٥٣؛ مارمول: المصدر السابق، ج٢، ص ٣١.

(١٨) ليون الإفريقي: المصدر السابق، ج١، ص ١٣٤.

(١٩) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٣٣.

(٢٠) مارمول: المصدر السابق، ج٢، ص ص ٥٢- ٥٣.

(٢١) دييگو دي توريس: تاريخ الشرفاء، ترجمة: د. محمد حجي ود. محمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، ١٩٨٨م، ص ص ٢٣٣- ٢٣٤.

(٢٢) مؤرخ مجهول: تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تحقيق: عبد الرحيم بنحادة، دار تينملل للطباعة والنشر، مراكش، ١٩٩٤م، ص ٣٧.

(٢٣) المنوني: المرجع السابق، ص ص ٥٦- ٥٧.

(٢٤) محمد أبو رحاب: العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين- دراسة آثارية معمارية، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٨م، ص ٢٠١.

(٢٥) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٥٣.

(٢٦) محمد حجي: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، مطبعة فضالة، ١٩٧٨م، ج١، ص ٥١.

(٢٧) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٥٤.

(٢٨) المقري (أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، ت: ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م، ج١، ص ٤٦٤؛ السيد عبد العزيز سالم: العمارة الإسلامية

في الأندلس وتطورها، بحث نشر في مجلة عالم الفكر، المجلد الثامن، العدد الأول، أبريل، مايو، يونيو، وزارة الإعلام – الكويت، ١٩٧٧م، ص ٩٥.

(٢٩) عبد الهادي التازي: قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا، الرباط، ١٩٧٧م، ص ٥.

(٣٠) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٥٤؛ الإفراني (محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله المراكشي، ت: بعد ١١٥٧هـ/ ١٧٤٥م): نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق: عبد اللطيف الشادلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٩٨م، ص ١٨٠.

(٣١) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٩٨؛ ابن القاضي (أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي، ت: ١٠٢٥هـ/ ١٦١٦م): ذيل وفيات الأعيان المسمى بدرة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث– القاهرة، المكتبة العتيقة– تونس، ١٩٧٠– ١٩٧٢م، ج١، ص ص ١١٧– ١١٨؛ المقري (أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، ت: ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م): روضة الآس العاطرة الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية– الرباط، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، ص ص ٤٥– ٤٦.

(٣٢) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٦٣.

(٣٣) المقري: المصدر السابق، ص ٢٥.

(٣٤) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٥٤.

(٣٥) الفشتالي: نفس المصدر والصفحة.

(٣٦) الإفراني: المصدر السابق، ص ١٨١.

(٣٧) الإفراني: المصدر نفسه، ص ص ١٨٠– ١٨١.

(٣٨) التازي: المرجع السابق، ص ص ٤– ٥؛ إبراهيم حركات: السياسة والمجتمع في العصر السعدي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٨٧م، ص ٣١٥؛ عثمان إسماعيل: المرجع السابق، ج٥، ص ١١١؛

Koehler, H., La Kasba Saadienne de Marrakech d'Apres un plan Manuscrit de 1585, Hespéris, Tome XXVII, Librarie Larose, Paris, 1940, p. 3; Marçais, G., Op. Cit., p. 395.

(٣٩) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٥٤.

(٤٠) الإفراني: المصدر السابق، ص ٢٧٧.

(٤١) عثر هنري كولير على هذا التصميم في مخطوط بمكتبة الإسكوريال بإسبانيا، وهو منفذ بالألوان والتذهيب على ورقتين متقابلتين، وقد مثلت عليه أهم المنشآت العمارية التي كانت تشتمل عليها قصبة مراكش آنذاك وأسوارها، وقد حددت المسافات بين هذه المنشآت بدقة بقياس باسو البرتغالي، وكان الهدف من وضعه – على ما ذكر– هو تحديد الأماكن التي دفن بها موتى البرتغال خلال سنة (٩٩٣هـ/ ١٥٨٥م)، انظر:

Koehler, H., Op. Cit., p. 4; Deverdun, G., L'Age des Tombeaux Saadiens de Marrakech, d'Après de Documents

Nouveaux, Hespéris, Tome XL, Librarie Larose, Paris, 1953, p. 559.

(٤٢) الفشتالي: المصدر السابق، ص ص ٢٥٤- ٢٦٣.

(٤٣) حركات: المرجع السابق، ص ٣١٥.

(٤٤) الإفراني (محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله المراكشي، ت: بعد ١١٥٧هـ/ ١٧٤٥م): صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٤م، ص ١١٥.

(٤٥) عبد الكريم كريم: المغرب في عهد الدولة السعدية- دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، شركة الطبع والنشر، الدار البيضاء، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م، ص ٢٩٩؛

Koehler, H., Op. Cit., p. 9.

(٤٦) حركات: المرجع السابق، ص ص ٣٠٣، ٣١٥.

(٤٧) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٥٤.

(٤٨) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ٢٠٦.

(٤٩) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ٢٦٣.

(٥٠) التازي: المرجع السابق، ح٥، ص ٦.

(٥١) حركات: المرجع السابق، ص ٣٠٣.

(٥٢) الإفراني: نزهة الحادي، ص ١٨٩.

(٥٣) مؤرخ مجهول (مؤلف أندلسي من أهل القرن ٨هـ/ ١٤م): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق: د. سهيل زكار وأ. عبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م، ص ص ١٤٥- ١٤٦؛ المنوني: حضارة الموحدين، ص ١٦٢.

(٥٤) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٥٥) حول هذه الظاهرة بالمغرب قبل العصر السعدي، انظر: ابن غازي (أبو عبدالله محمد، ت: ٩١٩هـ/ ١٥١٣م): الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٦٤م، ص ٣٥؛ المقري: نفح الطيب، ج٦، ص ٢١٤؛ محمد أبو رحاب: المدارس المغربية في العصر المريني- دراسة آثارية معمارية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠١١م، ص ٨٣.

(٥٦) الإفراني: المصدر السابق، ص ١٩٠.

(٥٧) التازي: المرجع السابق، ص ٢٢.

(٥٨) الفشتالي: المصدر السابق، ص ص ٢٣٥- ٢٥٢.

(٥٩) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ١٥٦- ١٦٣.

(٦٠) الإفراني: المصدر السابق، ص ١٩٠.

(٦١) الناصري (أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي، ت: ١٣١٥هـ/ ١٨٩٧م): الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ١٩٥٤م، ج٧، ص ١٠٢.

(٦٢) التازي: المرجع السابق، ص ٢٤.
(٦٣) الناصري: المصدر السابق، ج٧، ص ٤٧.
(٦٤) التازي: المرجع السابق، ص ٢٢.
(٦٥) مؤرخ مجهول: تاريخ الدولة السعدية، ص ص ٩٣– ٩٤؛ الإفراني: المصدر السابق، ص ٣٠٤.
(٦٦) السعدي (عبدالرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر، ت: ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٦م): تاريخ السودان، نشره هوداس، باريس، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م، ص ص ٢٠٥– ٢٠٦.
(٦٧) التازي: المرجع السابق، ص ٢٣؛ حركات: المرجع السابق، ص ص ٢٤٤– ٢٤٩.
(٦٨) الناصري: المصدر السابق، ج٧، ص ص ٤٦، ٤٩.
(٦٩) التازي: المرجع السابق، ص ٥٦.
(٧٠) التازي: المرجع نفسه، ص ص ٥٦– ٥٧.
(٧١) الناصري: المصدر السابق، ج٧، ص ص ٩٠– ٩١.
(٧٢) التازي: المرجع السابق، ص ص ٥٨– ٦٠.
(٧٣) حركات: المرجع السابق، ص ٣١٧.
(٧٤) عن النقوش الكتابية التي نقشت على جدران البديع أو تلك التي قيلت في مدحه، انظر: عبد الله بنصر العلوي: قصر البديع في الشعر المغربي– دراسة في شعريات المكان، بحث نشر في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، عدد ٦، ١٩٩٠م.
(٧٥) عن شعر الفشتالي بقصر البديع، انظر: نجاة المريني: قصر البديع في شعر الفشتالي، بحث نشر في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بمراكش، عدد ٦، ١٩٩٠م.
(٧٦) التازي: المرجع السابق، ص ٨.
(٧٧) جون وندوس: رحلة إلى مكناس، ترجمة: د. زهراء إخوان، منشورات عمادة جامعة المولى إسماعيل، مكناس، ١٩٩٣م، ص ص ١٣٠– ١٣١.
(78) Deverdun, G., Apropos de L'Estampe d'Adriaen Matham: Palatium Magni Regis Maroci in Barbaria (Vue de la Casbah de Marrakech en 1641), Hespéris, Tome XXXIX, Librairie Larose, Paris, 1952, pp. 213- 2124.
(79) Koelher, H., Op. Cit., p. 12.
(80) Koelher, H.,Ibid., pp. 12-13.
(٨١) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٥٣.
(٨٢) المقري: المصدر السابق، ص ٢٦.
(٨٣) الإفراني: المصدر السابق، ص ١٨١.
(84) Deverdun, G., Op. Cit., pp. 217- 218.
(85) Koelher, H., Op. Cit., p. 12.
(٨٦) تجدر الإشارة إلى أن القبة في اصطلاح المغاربة تعني الحجرة الكبيرة أيًا كان نوع تغطيتها، وليست بالضرورة أن تكون مغطاة ببناء نصف كروي حسب

المفهوم المشرقي للقبة. انظر، عثمان إسماعيل: المرجع السابق، ج٤، ح١، ص ٢٤٢.

(٨٧) الإفراني: المصدر السابق، ص ١٨١.

(٨٨) الفشتالي: المصدر السابق، ص ص ٢٥٤- ٢٥٥؛ Koelher, H., Op. Cit., pp. 12- 13.

(89) Koelher, H., Op. Cit., pp. 12- 13.

(٩٠) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٥٥.

(٩١) الفشتالي: نفس المصدر والصفحة. وقد فسر بعض الباحثين هذا النص بأن هناك قطع من الزجاج الملون وضعت أعلى سقف هذه القبة، وهذا مخالف لقصد الفشتالي، ولا يتوافق مع مفهوم نصه. انظر، التازي: المرجع السابق، ص ص ١٠- ١١؛ عثمان إسماعيل: المرجع السابق، ج٥، ص ١١٤.

(٩٢) للاستزادة حول هذه الظاهرة، انظر: عبد الهادي التازي: الجامور في الصوامع المغربية، بحث نشر في مجلة جمعية الآثاريين العرب، المجلس العربي للدراسات العليا والبحث العلمي، العدد الثالث، يناير ٢٠٠٢م، ص ص ١٠٤- ١٠٧.

(٩٣) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٥٧.

(٩٤) البرطال أو البرطل في اصطلاح المغاربة والأندلسيين عبارة عن رواق مكون من بائكة أو أكثر ذات عقد واحد أو سلسلة من العقود، يتقدم أو يبرز عن الدار، ويتخذ مكانًا للجلوس وتناول الطعام وما شابه ذلك. انظر، الفشتالي: مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفا، مختصر الجزء الثاني، تحقيق: عبد الله كنون، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٦٤م، ج٢، ص ١٦٩.

(٩٥) الفشتالي: المصدر السابق، تحقيق: د. عبد الكريم كريم، ص ٢٥٥.

(٩٦) ذكر الإفراني أن هذه القبة سميت بهذا الاسم: "لأن فيها خمسين ذراعًا بالعمل"، انظر: الإفراني: المصدر السابق، ص ١٨٢. فهل يقصد بذلك أن ارتفاعها يبلغ خمسين ذراعًا أي نحو ٢٥م؟

(٩٧) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٥٦.

(٩٨) الفشتالي: نفس المصدر والصفحة.

(٩٩) البرشلة: في الاصطلاح المغربي عبارة عن سقف مربع المسقط هرمي الشكل له أربعة أضلاع من الخشب مثلثة الشكل، تثبت قواعدها على جدران المساحة المربعة المراد تسقيفها، وتلتقي رءوسها لأعلى مكونة هيئة الهرم. انظر، محمد أبو رحاب: العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب، ص ٥٠٨.

(١٠٠) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٥٦.

(١٠١) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ص ٢٥٦- ٢٥٧.

(١٠٢) الحائطي: في اصطلاح المغاربة نوع من الستائر من ابتكار وتصميم أحمد المنصور السعدي، وهي مزخرفة بتشكيلات هندسية وأشكال نجوم متنوعة وزخارف نباتية، ويجري أعلاها شريط مزين بنقوش كتابية، وقد ظل هذا النوع من الستائر مستعملة في المغرب بعد عهد أحمد المنصور إلى فترة

قريبة في القصور والدور. انظر، حركات: المرجع السابق، ص ٣١٦؛ عثمان إسماعيل: المرجع السابق، ج٥، ص ١٢٨.

(١٠٣) المقري: نفح الطيب، ج٦، ص ص ٤٧– ٤٨.

(١٠٤) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٥٧.

(١٠٥) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ص ٢٥٧– ٢٥٨.

(١٠٦) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ٢٥٨.

(١٠٧) وندوس: المصدر السابق، ص ١٣١.

(١٠٨) التازي: قصر البديع، ص ١١.

(١٠٩) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٥٨.

(١١٠) الفشتالي: نفس المصدر والصفحة.

(١١١) المصرية: في اصطلاح المغاربة عبارة عن منـــزل صغير يبنى أعلى دكاكين الطريق، أو فوق أي بناء سفلي، ونسبتها إلى مصر؛ لأن هذا النوع من المباني اقتبس منها. انظر، المقري: روض الآس، ج١٦، ص ١٣٤.

(١١٢) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٥٨.

(١١٣) المقري: المصدر السابق، ص ١٣٤.

(١١٤) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(١١٥) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ٢٥٩– ٢٦٠.

الشرجب في الاصطلاح المعماري عبارة عن شباك ثابت يصنع من قوائم من الخشب أو الحديد متقاطعة، مكونة أشكال مربعات أو مـــستطيلات أو بهيئـــة طولية، يمسكها في الوسط قائم بهيئة أفقية، وتثبت هذه الشبكة على الفتحـــات النافذة؛ حتى لا تُمكن من إخراج الرأس والإطلال. للاستزادة، انظر: محمـــد عبد الستار عثمان: الإعلان بأحكام البنيان لابـــن الرامـــي– دراســـة أثريـــة معمارية، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، ١٩٨٨م، ص ١٨٦.

(١١٦) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٥٤، ٢٦٢.

(١١٧) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ٢٥٤.

(١١٨) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ٢٦١.

(١١٩) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ٢٥٧.

(١٢٠) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ٢٦١.

(١٢١) الفشتالي: المصدر السابق، ص ص ٢٦١– ٢٦٢؛ الإفراني: المصدر السابق، ص ٢٧٧؛ المقري: المصدر السابق، ص ٧٩.

(١٢٢) الإفراني: المصدر السابق، ص ٢٧٧؛ المقري: المصدر الـــسابق، ص ٧٩؛ الفشتالي: المصدر نفسه، ص ص ٢٦١– ٢٦٢.

لمصطلح قصر في اللغة العربية معانٍ متعددة؛ فقد يطلق على بلدة بأكملها، أو يطلق على بناء قائم بذاته يتميز بتحصيناته القوية وجدرانه المرتفعـــة وبنيانـــه الفخم، كما كانت قريش تسمي البيت المبني قصرًا؛ لأنه يقصر من فيه فيمنعه من الانتشار، ولعل هذا المعنى الأخير هو الذي يتوافق مـــع مـــسمى "قـــصر الخيل" الملحق بقصر البديع السعدي. للاستزادة عن مصطلح القصر، انظـــر:

سعد عبد الكريم شهاب: بلدة القصر وآثارها الإسلامية، دار الآفاق العربيـــة، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ص ١٣- ١٦.

(١٢٣) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(١٢٤) التازي: قصر البديع، ص ٧؛ عثمان إسماعيل: المرجـــع الـــسابق، ج٥، ص ١١٥.

(١٢٥) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(١٢٦) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ٢٥٨.

(١٢٧) التازي: المرجع السابق، ص ٧؛ عثمان إسماعيل: المرجع السابق، ج٥، ص ١١٥.

(١٢٨) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٥٥.

(١٢٩) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ٢٥٦.

(١٣٠) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ٢٦٠.

(١٣١) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ص ٢٦٠- ٢٦١.

(١٣٢) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ٢٥٦.

(١٣٣) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ٢٥٥- ٢٥٨.

(١٣٤) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ٢٥٧.

(١٣٥) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ٢٥٥.

(١٣٦) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ٢٥٦.

(١٣٧) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ٢٥٧.

(١٣٨) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ص ٢٦٢- ٢٦٣.

(١٣٩) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ٢٥٩.

(١٤٠) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ٢٥٧.

(١٤١) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ٢٥٩.

(١٤٢) الفشتالي: نفس المصدر والصفحة.

(١٤٣) الإفراني: المصدر السابق، ص ١٨١؛ الفشتالي: المـــصدر نفـــسه، ص ص ٢٥٦- ٢٥٧.

(١٤٤) الفشتالي: المصدر نفسه، ص ص ٢٥٦- ٢٥٧.

(١٤٥) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٦٣.

(١٤٦) الفشتالي: نفس المصدر والصفحة.

(١٤٧) المقري: المصدر السابق، ص ٢٥.

(١٤٨) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٦٣.

(١٤٩) الفشتالي: نفس المصدر والصفحة؛ المقري: المصدر السابق، ص ٢٥.

(١٥٠) الفشتالي: المصدر السابق، ص ٢٦٢.

(١٥١) الفشتالي: نفس المصدر والصفحة.

(١٥٢) التازي: المرجع السابق، ص ص ٦٢- ٦٣.

(١٥٣) التازي: المرجع نفسه، ص ٤٥.

(١٥٤) الإفراني: المصدر السابق، ص ١٦٨.

(١٥٥) عن هذه المنشآت، انظر: محمد أبو رحاب: العمائر الدينية والجنائزية بالمغرب في عصر الأشراف السعديين، ص ص ٢٣١– ٤٤٠، اللوحات من ١– ١٢٠.

(١٥٦) محمد أبو رحاب: المرجع نفسه، ص ص ١٣٨– ١٣٩.

(١٥٧) أبو رحاب: المرجع نفسه، ص ص ١٣٩– ١٤٠.

(١٥٨) أبو رحاب: المرجع نفسه، ص ص ٣٧٢– ٣٧٥.

(١٥٩) التازي: المرجع السابق، ص ٤؛ عثمان إسماعيل: المرجع السابق، ج٥، ص ١٠٩؛

Deverdun, G., Marrakech des Origines a 1912, Éditions Techniques Nord-Africaines, Rabat, 1959, p. 400; Triki, H., Marrakech, Le Prix Aga Khan d'Architecture, Maroc, 1986, p. 24.

(160) Marçais, G., Op. Cit., p. 395; Meunier, J., Le Grand Riad et Les Batiments Saadiens du Badi a Marrakech Selon le plan Publie Par Windus, Hespéris, Tome XLIV, Libririe Larose, Paris, 1957, p. 129; Tereki, H., Op. Cit., p. 24.

(161) Marçais, G., Op. Cit., p. 395.

(١٦٢) محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١م، ج٨، ص ص ١٩٨– ١٩٩؛ السيد عبد العزيز سالم: المساجد والقصور في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٦م، ص ص ١٤٨– ١٤٩.

(١٦٣) عبد العزيز سالم: العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، ص ص ٩٦– ٩٧؛ ولنفس المؤلف: المساجد والقصور في الأندلس، ص ٥٧.

(١٦٤) عبد العزيز سالم: العمارة الإسلامية في الأندلس وتطورها، ص ص ٩٨– ١٠٠.

(١٦٥) عبد العزيز سالم: المرجع نفسه، ص ١٠٠.

(١٦٦) توريس بالباس: المرجع السابق، ص ص ٢٩– ٣٠؛ عبد العزيز سالم: المرجع السابق، ص ص ١٠١– ١٠٢.

(١٦٧) عبد العزيز سالم: المرجع نفسه، ص ص ١٠٢– ١٠٣.

(١٦٨) إبراهيم حركات: الثقافة المغربية بين الثقافات الإنسانية، بحث نشر في مجلة الثقافة، السنة الثالثة، العدد ١٨، وزارة الإعلام والثقافة بالجزائر، ١٩٧٣م، ص ص ٤٥– ٤٦.

(١٦٩) محمد عبد الله عنان: المرجع السابق، ج٨، ص ص ٩– ١٠.

(خريطة ١) القطاع الشمالى لقصبة مدينة مراكش فى العصر السعدى عن: Koehler, H., La Kasba Saadienne de Marrakech , p2.

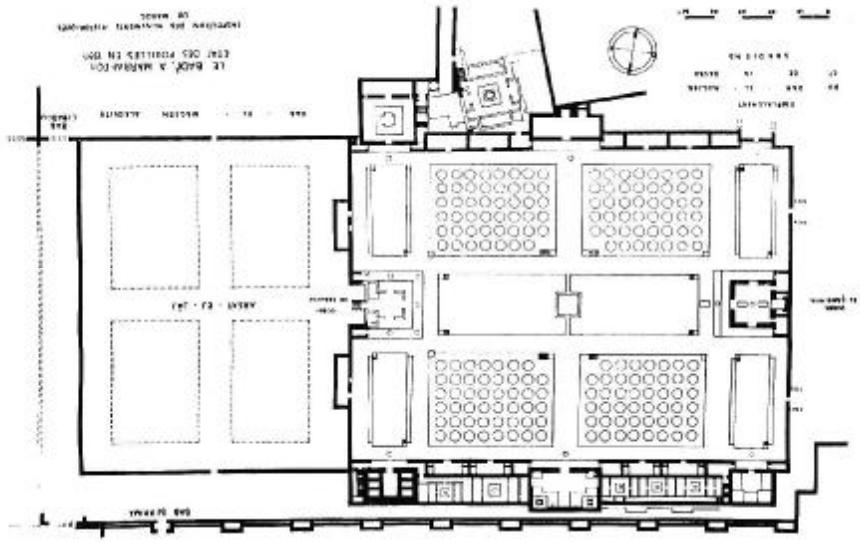

(شكل ١) مسقط أفقى لقصر البديع بمراكش وفقا للحفائر التى أجرتها مفتشية المبانى التاريخية بمراكش(١٩٥٠-١٩٥٥م).

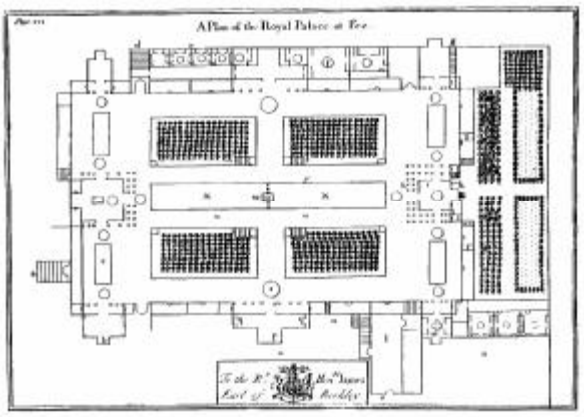

a : درج للنزول إلى دار السلطان
b : غرفة نوم داخل غرفة أخرى
c : غرفة التقطير
d : درج ثان للنزول إ لى دار السلطان
e : شقة تدعى بيتا
f : نافورة
g : درج ثالث يؤدي إلى دار السلطان
h : أعمدة ضخمة من المرمر الأبيض
i : قبة الذهب
k : درج يؤدي إلى حدائق السلطان
L : ساحة واسعة رصصت بزليج أزرق
m : مقصورة ذات شرفات
n : قصر الخيل أو اصطبلات
o : حمام
P : غرفة نوم داخل أخرى
q : قوسان في مدخل غرفتي نوم
R : أعمدة من اليشب
S : نافورة من رخام ملون
t : درج يؤدي إلى حدائق ليمون وبرتقال
u : ممشى رصص بآجر ذي ألون مختلفة
w : نافورة فوقها ممر يخترق قناة
x : قناة من رخام أبيض تزودها نافورة
y : سور ضخم مكسو بآجر ذي ألوان مختلفة

(شكل ٢) مسقط أفقى لقصر البديع بمراكش تنفيذ كوليوس الهولندى(١٠٢٢هـ/١٦١٣م) عن جون وندوس: رحلة إلى مكناس، ص ١٣٢.

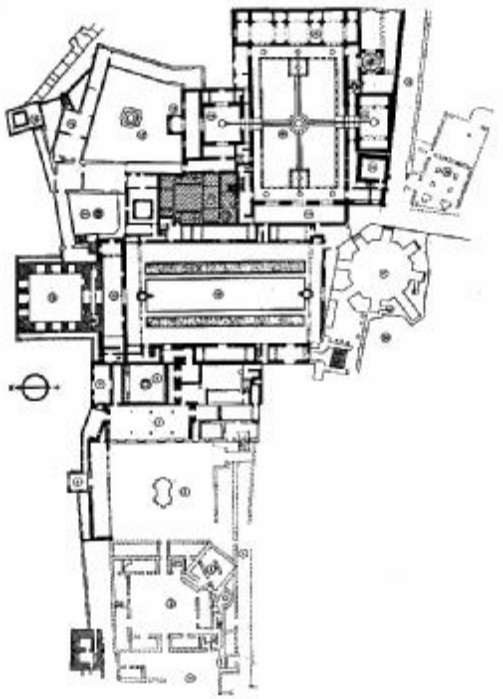

(شكل ٣) مسقط أفقى لقصر الحمراء بغرناطة، عن: Marçais, G., L'Architecture Musulmane d'Occident ,p303, fig187

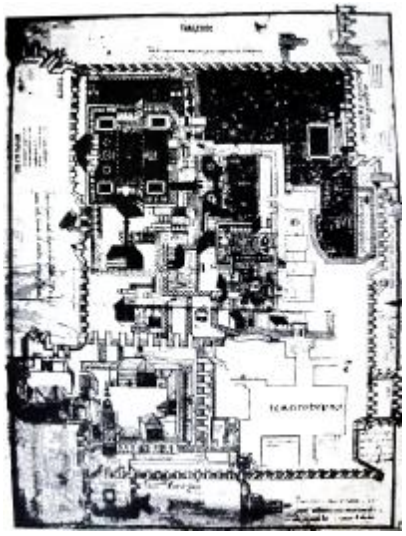

(لوحة ١) منظور لقصبة مراكش فى العصر السعدى نفذه أحد المهندسين البرتغاليين عام(٩٩٣هـ/١٥٨٥م)
عن: Koehler, H, Op.Cit, fig 2.

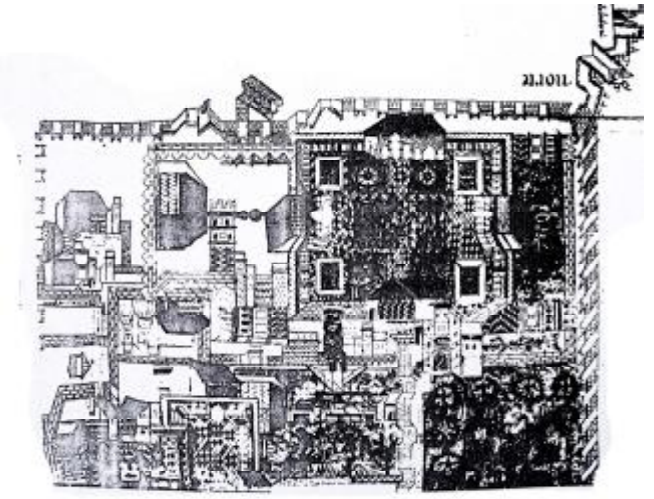

(لوحة ٢) تفصيل لقصر البديع من خلال المنظور الموضح فى اللوحة السابقة

(لوحة ٣) قصبة مراكش كما رسمها أدريان ماثام عام(١٠٥٠هـ/١٦٤١م)
عن: Deverdun, G., Apropos de L'Estampe d'Adriaen Matham, fig1.

(لوحة٤) المدخل الحالي لقصر البديع الذي يقع بواجهته الشمالية، تصوير البحث.

(لوحة ٥) صحن القصر ويتوسطه حوض كبير للماء على جانبيه وزعت أربع حدائق وأربعة أحواض صغيرة للماء، تصوير الباحث.

(لوحة ٦)الحدائق الموزعة على جانبى حوض الماء الكبير الذى يتوسط صحن القصر، تصوير الباحث.

(لوحة ٧)أساسات قبة الزجاج التى تتوسط الضلع الشرقى للقصر، تصوير الباحث.

(لوحة ٨) بقايا القبة الخمسينية التى تتوسط الضلع الغربى للقصر، تصوير الباحث.

(لوحة ٩) أرضية القبة الخمسينية من الداخل، تصوير الباحث.

(لوحة ١٠) القبة الخمسينية والحجرة الملاصقة للقطاع الشمالى الغربى لجدارها الغربى، تصوير الباحث.

(لوحة ١١) الواجهة الشمالية لصحن القصر، تصوير الباحث.

(لوحة ١٢) الواجهة الجنوبية لصحن القصر، تصوير الباحث.

(لوحة ١٣) بقايا الطابق الأول للضلع الشمالى للقصر ، عن: http://4.bp.blogspot.com/_l195-YkBUSc/TQ43S3rSY-I/AAAAAAAABqQ/ZOjS7_A1cb0/s1600/SNV81668.JPG.

(لوحة 14) بقايا الطابق الأول للضلع الشمالى للقصر ، عن: http://4.bp.blogspot.com/_l195-YkBUSc/TQ43S3rSY-I/AAAAAAAABqQ/ZOjS7_A1cb0/s1600/SNV81668.JPG.

(لوحة 15) الوحدات المعمارية التى تقع خلف الضلع الشمالى للقصر، تصوير الباحث.

(لوحة 16) إحدى القاعات التى تقع خلف الضلع الشمالى للقصر، تصوير الباحث.

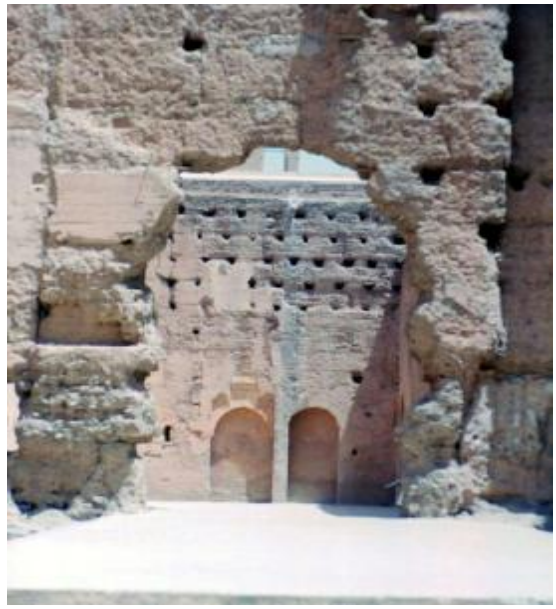

(لوحة ١٧) إحدى القاعات التى تقع خلف الضلع الشمالى للقصر ويظهر بها حنيتين على هيئة محراب، تصوير الباحث.

(لوحة ١٨) إحدى القاعات التى تقع خلف الضلع الشمالى للقصر وتظهر بها مدخنة، تصوير الباحث.

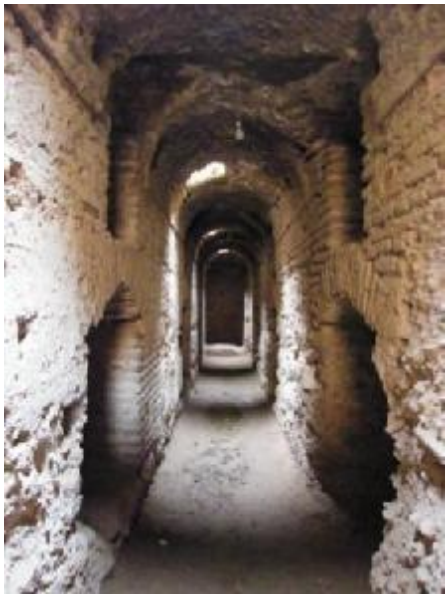

(لوحة ١٩) السراديب والوحدات المعمارية التى توجد أسفل أرضية القصر، عن:
http://mowz3.com/vb/showthread.php?p=24850

(لوحة ٢٠) السراديب والوحدات المعمارية التى توجد أسفل أرضية القصر، عن:
http://mowz3.com/vb/showthread.php?p=24850

(لوحة ٢١) السراديب والوحدات المعمارية التى توجد أسفل أرضية القصر، عن:
http://4.bp.blogspot.com/_1195-YkBUSc/TQ43S3rSY-I/AAAAAAAABqQ/ZOjS7_A1cb0/s1600/SNV81668.JPG.

(لوحة ٢٢) الضلع الشرقى لقصر البديع ويتوسطه الباب الذى كان يصل بين قبة الزجاج وبستان المشتهى وقد سد حديثا بالبناء ، تصوير الباحث

(لوحة ٢٣) بستان المشتهى الملاصق لقصر البديع من الجهة الشرقية ، تصوير الباحث

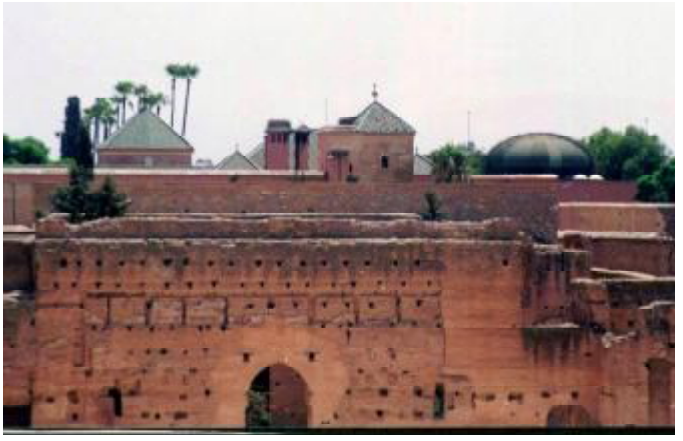

(لوحة ٢٤) الضلع الجنوبى لقصر البديع ويلاصقه القصر الملكى العلوى، تصوير الباحث

(لوحة ٢٥) القبة التى شيدها أحمد المنصور بوسط الضلع الشرقى بصحن جامع القرويين بمدينة فاس، تصوير الباحث

(لوحة ٢٦) تفصيل للقبة التى شيدها أحمد المنصور بوسط الضلع الشرقى بصحن جامع القرويين بمدينة فاس، تصوير الباحث

(لوحة ٢٧) الواجهتان الغربية والجنوبية للمبنى الشرقى بمقبرة السعديين بمراكش، تصوير الباحث

(لوحة ٢٨) تفصيل لزخارف باطن القبة التى تغطى قاعة لالة مسعودة بالمبنى الشرقى بمقبرة السعديين بمراكش، تصوير الباحث

(لوحة ٢٩) تفصيل لزخارف الأجزاء العليا من جدران القسم الأوسط للقاعة ذات الأثنى عشر عمودا بمقبرة السعديين بمراكش ، تصوير الباحث

(لوحة ٣٠) تفصيل لزخارف الأجزاء العليا من جدران القسم الأوسط وسقف القاعة ذات الاثني عشر عمودا بمقبرة السعديين بمراكش ، تصوير الباحث